جوانب نفسية في المعلقات العربية

تأليـف

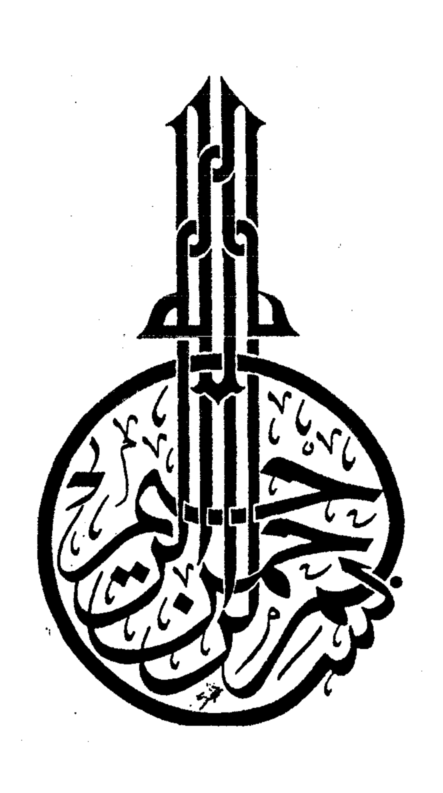
الدكتور / عبد الله أحمد باقـازي

الطبعة الأولى

١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢م

ⓒ نادي مكة الثقافي الأدبي، ١٤٢٣هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
باقازي ، عبد الله أحمد
جوانب نفسية في المعلقات العربية - مكة المكرمة .
١٦٣ صفحه ؛ ٢٥ × ١٧٫٥ سم .
ردمك : ٧ - ٣٢ - ٦١٧ - ٩٩٦٠
١ - الشعر العربي - نقد - العصر الجاهلي ٢ - المعلقات أ - العنوان .
ديوي ٨١١,١٠٠٩ ٢٣/٢٠٩٠

رقم الإيداع : ٢٣/٢٠٩٠
ردمك : ٧ - ٣٢ - ٦١٧ - ٩٩٦٠



المقدمة

مقدمة :

.. يشكل الجانب النفسي في الشعر ملمحاً بارزاً إذ من خلاله تتبدى جوانب فنية عديدة تتصل بالشعر والشاعر ، وفي هذا الكتاب حاولنا أن نكشف عن « جوانب نفسية » في المعلقات العربية العشر ، التي تشكل جانباً شعرياً رائداً عاشت عليه أجيال شعرية لاحقة ، ومن خلال ه تشكلت كثير من المفاهيم النقدية والذوقية لدى المتلقي العربي على مر العصور وحتى يومنا هذا ..

.. وق حاولنا أن نكشف من خلال « الجوانب النفسية في المعلقات العربية » عن ملامح نفسيات شعراء المعلقات .. خوفهم ، حزنهم .. ألمهم النفسي .. وعلاقة البيئة والحيوان وغيرها من المحيطات بذلك ..

.. كما رسمنا للملمح النفسي لبعض الحيوانات التي عايشت الشاعر بعلاقة «نفعية » كالفرس ، والناقة أو بعلاقة « نفعية / جمالية » كالبقر الوحشي ، أو بعلاقات أخرى : كالثور الوحشي ، وكالكلاب ، والثعلب .. وغيرها ..

.. كما رسمنا للملمح النفسي لبعض الطيور التي لها علاقة بالشاعر : كالعقاب ، والنعامة ، وطيور أخرى ..

.. ولمسنا شيئاً من الملمح النفسي لدى الحشرات من خلال الإشارة إلى : « الذباب » في شعر عنترة بن شداد العبشي ..

.. «وجوانب نفسية في المعلقات العربية» محاولة للكشف عن جوانب

الأصالة الرائعة في تراثنا الشعري المتمثل في : « المعلقات العربية » جزءاً مهماً من التراث الشعربي العربي المشع بالزصالة والربداع المتجدد .. .. والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل ...

المؤلـــف

الدكتور / عبد الله أحمد باقازي

في معنى المعلقات :

.. المعلقات جزء مهم من تراث العرب الشعري ، وهي تشكل أبرز جوانب الشعر الجاهلي والعربي أهمية وريادة فنية ، ونماذج شعرية ذات مستوى فني راق ..

.. وقد وردت الإشارة إلى المعلقات ومعناها في أكثر من موضع من المصادر القديمة الأدبية ، وبعض الدراسات الحديثة .. وقد مالت بعض الآراء القديمة إلى جعل المعلقات سبعاً ، ومن هؤلاء « المفضل الضبي » :

« ومنهم من جعل امرأ القيس أشعرهم ، ثم طرفة ، ثم لبيد لن ربيعة ، ثم زهيراً ، ثم نابغة بن ذبيان ، ثم الأعشى البكري ، ثم عمرو بن كلثوم » .

قال المفضل : هؤلاء أصحاب السبعة الطوال التي تسميها العرب السموط[1] ، فمن زعم أن في السبعة شيئاً لأحد غيرهم فقد أخطأ ، وخالف ما أجمع عليه أهل العلم والمعرفة (وليس عندهم فيهم خلاف ولا في أشعارهم) [2] .

.. ونجد إشارة أخرى «المعلقات السبع» عند ابن قتيبة : وعمرو ابن

---

(١) السموط : «السمط : الخيط مادام فيه الخرز وإلا فهو سلك، والسمط : خيط النظم لأنه يعلق ، وقيل : هي قلادة أطول من المخنقة وجمعه سموط » . لسان العرب : المجلد السابع ص ٣٢٢ .

(٢) جمهرة أشعار العرب : في الجاهلية والإسلام : لأبي زيد القرشي : تحقيق على محمد البجاوي ، ص ٩٨ .

كلثوم هو القائل :

* ألا هبي بصحنك فاصبحينا *

وكان قام بها خطيباً فيما كان بينه وبين عمرو بن هند ، وهي من جيد شعر العرب القديم وإحدى السبع » [(١)] .

.. ونجد ذات الرأي عند «ابن رشيق» في العمدة : «وقال محمد بن أبي الخطاب في كتابه الموسوم بجمهرة أشعار العرب : إنّ أبا عبيدة قال : أصحاب السبع التي تسمى السمط : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة ، والأعشى ، ولبيد، وعمرو بن كلثوم، وطرفة . قال : وقال المفضل : من زعم أن في السبع التي تسمى السمط لأحد غير هؤلاء فقد أبطل . فأسقط من أصحاب المعلقات عنترة والحارث بن حلزة ، وأثبت الأعشى والنابغة .

.. (وكانت المعلقات تسمى المذهبات ، وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت في القباطي بماء الذهب وعلقت على الكعبة ، لذلك يقال : مذهبة فلان إذا كانت أجود شعره، وذكر ذلك غير واحد من العلماء وقيل : بل كان الملك إذا استجيدت قصيدة الشاعر يقول : علقوا لنا هذه لتكون في خزانته » [(٢)] .

.. وفي « العقد الفريد » لابن عبد ربه رأي مشابه : (ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه ، إذا كان الشعر ديوان خاصة العرب ، والمنظوم من كلامها، والمقيد لأيامها ، والشاهد على

---

(١) الشعر والشعراء : لابن قتيبة . تحقيق أحمد محمد شاكر . ج ١ ، ص : ٢٣٦ .

(٢) العمدة : لابن رشيق : تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . ج١ ، ص : ٩٦ .

حكامها، حتى لقد بلغ من كلف العرب به وتفضيلها له، أن عمدت إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم فكتبته بماء الذهب في القباطي المدرجة، وعلقتها بين أستار الكعبة، فمنه يقال: مذهبة امرئ القيس، ومذهبة زهير، والمذهبات سبع، وقد يال لها المعلقات»[1].

.. وقد وعد ابن عبد ربه أصحاب المعلقات الشعراء: امرؤ القيس، زهير، طرفة، عنترة، عمرو بن كاثوم، لابيد، والحارث بن حلزة.[2]

.. وذكر «البغدادي» بعد أن أستشهد ببتيت عنترة وهما:

يَنْبـاع من ذِفْري غَضوب جَسْرة
زيّافة مثل الفنيق المكدم
وكأن رُبا أو كَحَيْلا معقدا
حشَّ الوقودُ به جوانب قمم[3]

شئا عن المعلقات فقال: «وهذان البيتان من معلقة عنترة وهي من أجود شعره، وكانت العرب تسميها المذهبة بصيغة اسم المفعول من الإذهاب أو التذهيب، وهما بمعنى التمويه والتطلية بالذهب.

ومعنى المعلقة: أن العرب كانت في الجاهلية يقول الرجل منهم الشعر في أقصى الأرض فلا يعبأ به ولا ينشده أحد، حتى يأتي مكة في موسم

(١) العقد الفريد: لابن عبد ربه: تحقيق: محمد سعيد العربان. ج٦، ص: ١٠٣.
(٢) العقد الفريد: لابن عبد ربه: تحقيق: محمد سعيد العريان. ج٦، ص: ١٠٣، ١٠٤.
(٣) خزانة الأدب: للبغدادي: تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ج١، ص: ١٢٢.

الحج فيعرضه على أندية قريش ، فإن استحسنوه روي وكان فخراً لقائله وعلق على ركن من أركان الكعبة حتى ينظر إليه ، وإن لم يستحسنوه طرح ولم يعبأ به ، وأول من علق شعره في الكعبة امرؤ القيس وبعده علقت الشعراء وعدد من علق شعره سبعة ، وثانيهم طرفة بن العبد ، ثالثهم زهير بن أبي سلمى ، رابعهم لبيد بن ربيعة ، خامسهم عنترة ، سادسهم الحارث بن حلزة ، سابعهم عمرو بن كلثوم التغلبي ، هذا هو المشهور) .[١]

.. كما يشير البغدادي إلى الناحية نفسها بقوله : (وقد طرح عبد الملك بن مروان شعر أربعة منهم وأثبت مكانهم أربعة ، وروى أن بعض أمراء بني أمية أمر من اختار له سبعة أشعار فسماها المعلقات)[٢] ، وأشار كارل بروكلمان إلى اختيار بعض المعلقات دون البعض الآخر[٣] ..

.. ونجد الإشارات إلى المعلقات في بعض الكتب الحديثة ، مثل : مصادر الشعر الجاهلي ، للدكتور : ناصر الدين الأسد[٤]، والشعر الجاهلي للدكتور: يحي الجبوري[٥] ، ومعلقات العرب للدكتور : بدوي طبانة[٦] .

---

(١) المصدر السابق ، الجزء نفسه . ص : ١٢٥ ، ١٢٦ .
(٢) خزنة الأدب : للبغدادي : تحقيق عبد السلام محمد هارون . ج١ ، ص : ١٢٧ .
(٣) انظر : تاريخ الأدب العربي . كارل بروكلمان . ج١ ، ص : ٦٧ ، ٦٨ .
(٤) مصادر الشعر الجاهلي : للدكتور : ناصر الدين الأسد : ص ١٦٩ - ١٧٣ .
(٥) الشعر الجاهلي : للدكتور : يحي الجبوري ص ١٧٣ . ١٨٦ .
(٦) معلقات العرب : للدكتور بدوي طبانة . ص : ١٥ - ٥٣ .

.. كما نجد إشارة إلى « المعلقات » على أساس أنها « ملاحم عربية » : (فالمعلقات إذاً رأس الملاحم العربية ، وأقربهن إلى منظومات الشعر القصصي على ما يراد به في العرف معلقة الحارث بن حلزة لإفاضته في وقائع بكر وتغلب وتغنيه بفوز قومه ونكال عدوه ومفاخر عشيرته على ما يماثل تغنى هوميروس في الإلياذة وتليها بهذا المعنى معلقة عمرو بن كلثوم ثم معلقة زهير) . (١)

.. على أن الكتاب الذي ناقش « المعلقات» باستفاضة واسعة هو كتاب : « المعلقات سيرة وتاريخا » لنجيب محمد البهبيتي. (٢) .

.. وفي مجال « المعلقات » نجد : « شرح المعلقات السبع للزوزني »(٣) حيث نجده يذكر سبعة شعراء للمعلقات هم : امروء القيس ، طرفة بن العبد ، زهير بن أبي سلمى ، لبيد بن ربيعة ، عمرو بن علثوم ، عنترة بن شداد ، الحارث بن حلزة .

.. كما نجد : « شرح الاقصائد السبع الطوال الجاهليات » (٤) لابن الأنباري ، حيث عرض لسبع قصائد لامرئ القيس ، وزهير ، وعنترة، وعمرو ابن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، ولبيد بن ربيعة ..

.. كما نجد : « شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات» (٥) لابن

---

(١) الياذة هوميروس : تعقيب : سليمان البستاني .ج١ . ص : ١٧٣ ، ١٧٤ .
(٢) طبعة دار الثقافة - الدار البيضاء (ط) (١) ١٤٠٢ - ١٩٨٢م .
(٣) طبعة المكتبة التجارية - ذمطبعة الاستقامة - بالقاهرة . ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨ م.
(٤) تحقيق عبد السلام هارون . طبعة دار المعارف . ط ٤ ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
(٥) طبعة دار الكتب العلمية - بيروت . ط ١ - ١٤٠٥هـ - ١٩٨ م.

النحاس وفيه تعرض لستعة شعراءهم : امروء القيس، زهير، لبيد، عنترة ، الحارث بن حلزة، عمرو بن كلثوم ، الأعشى ، النابغة ، مسقطاً الشاعر : عبيد ابن الأبرص الأسدي من كتابه .

.. أما المعلقات العشر ، فان لهما شرحين : « شرح المعلقات العشر » [١] للزوزني ، « شرح القصائد العشر » [٢] للتبريزي للشعراء : امرئ القيس ، طرفة ، زهير ، لبيد ، عنترة ، عمرو بن كلثوم ، الحارث بن حلزة ، الأعشى ، النابغة الذبياني ، عبيد بن الأبرص ..

.. « والمعلقات العشر » هي التي اعتمدنا في دراستنا « للجوانب النفسية » في هذا الكتاب .

---

(١) طبعة المكتبة الشعبية - بيروت .

(٢) تحقيق وتصحيح : عبد السلام الحوفي - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ - ١٤٠٥ - ١٩٨٥ م .

الفصل الأول

جوانب نفسية إنسانية



جوانب نفسية إنسانية

أولاً : جوانب نفسية في معلقة امرئ القيس : [١]

١ - البكاء والحزن وذكر الأطلال :

.. والبكاء والحزن جانب نفسي يمكن تلمسه في معلقة امرئ القيس من خلال وقوفه على الطلل وذكره ، والحزن : « حالة انفعالية تتصف بمشاعر غير سارة ، وتعبر عن ذاتها بالتأوه والبكاء وقلة الميل إلى تحريك العضلات الإرادية » [٢] .

وبكاء امرئ القيس وحزنه يحركه « ذكرى » الطلل و ومعالمه الباقية :

---

(١) امرء القيس : هو : « امروء القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن كندة ، بن كهلان ، بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، مات بأنقرة من بلاد الروم منصرفا عن قيصر » .
- انظر : ديوان امرئ القيس : تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ص ٧.
- انظر في ترجمته :
- أشعار الشعراء الستة الجاهليين : اختيارات : الأعلم الشمنتمري ، ص ٥ - ١٨ .
- مختار الشعر الجاهلي : شرح : مصطفى السقا . ج١ . ص ٢ - ٢٢ .
.. ومال كثير من النقاد إلى تقديم امرئ القيس على بقية شعراء العصر الجاعلي ، وجعله بعضهم في الطبقة الأولى مثل : محمد بن سلام الجمحي في كتابه : « طبقات فحول الشعراء » .
- انظر : طبقات فحول الشعراء : لابن سلام . تحقيق محمود شاكر . ص ٤٣ - ٤٦ .

(٢) معجم علم النفس : تأليف : الدكتور فاخر عاقل ، ص ١٠٠ .

قـــفـــا نبك من ذكـــرى حـــبـــيب ومنزل

بســـقط اللوى بين الدخـــول فـــحـــومل

كـــأني غـــداة البين يوم تحـــمـلوا

لـدى ســـمـــرات الحي ناقف حنظل

وقـــوفـــا بهـــا صـــحـــبي على مطيـــهم

يقـــولون لا تـهلك أسى وتجـــمـــل

وان شـــفـــائي عـــبـــرة إن ســـفـــحـــتـــهـــا

وهل عـند رسم دارس من مـــعـــول [1]

... والحزن الذي استبد بامرئ القيس وفجر دموعه ، ونكأ « ذكرياته » وجعله يشرف على الهلاك مما حدا بصحبه أن يشفقوا عليه من نتائجه، حزن مرتبط بإثارة « الطلل » وذكرى الأحبة ، ومن هذه الزاوية ترتبط حالة « الحزن» نفسياً بالجانب العاطفي للشاعر . ويصف أحد الباحثين هذا الجانب عند امرئ القيس فيقول : « فالشاعر يبكي بكاء العزاء والتأسي ، أو هو ينوح على زمن الألفة الذي يبدر ركأنه مدفون بين أنقاض الطلل » [2] .

---

(١) ديوان : امرئ القيس : تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . ص ٨ ، ٩ .
وكذلك : انظرها في شرح المعلقات السبع : للزوزني ، ص ٣ ، ٥ ، ٦ .
والسق : منقطع الرمل حيث يستدق . اللوى : رمل يعوج يوتلوى . الدخول وحومل : موضعان .

(٢) امروء القيس : لايليا حاوي . ص : ١٣١ .

٢ - الخوف من « الليل / الحيوان المخيف » :

... في وصف امرئ القيس « لليل » بحيوان مخيف يتبدى الإحساس « بالخوف » ، ولا شك أن البيئة الصحراوية بحيواناتها المخيفة المهددة لأمن الإنسان واستقراره وراء هذا الإحساس بالخوف من « الليل / الحيوان المخيف » .

.. والخوف : هو : « أحد الانفعالات البدائية والعنيفة ، يتملك المرء، فيشله عادة عن الحركة ، ويجمد نشاطه ، يتميز الخوف بحدوث تغيرات واسعة المدى في الجسم . كما يتصف بسلوك لدى الشخص قوامه الهرب والفرار أو الكتمان والإخفاء ، ومنه الرعب والفزع والجزع وارتعاد الفرائض والخشية والرهبة » . (١)

.. يقول امروء القيس واصفاً« الليل / الحيوان المخيف » وواصفاً من خلال ذلك خوفه وأحاسيسه الخائفة من ذلك « الحيوان / الليل » :

وليل كموج البحر أرخى سدوله
عليّ بأنواع الهموم ليبتلي

فقلت له لما تمطّى بجَوْزه
وأردف أعجازا وناء بكَلْكَل

ألا أيا الليل الطويل ألا انجلي
بصبح وما الإصباح منك بأمثل (٢)

---

(١) موسوعة علم النفس : إعداد : د. أسعد رزوق .
مراجعة د. عبد الله عبد الدايم . ص ١٢٨ .

(٢) ديوان : امرئ القيس . ص : ١٨ . وناء بكبكل = أي نهض بصدره .

.. والليل من خلال هذه الأبيات يتبدى « حيوانا »مخيفاً للشاعر ينبثق وسط بيئة صحراوية موحشة ليضاعف من إحساس الشاعر بالخوف ، ويملأ أعماقه بالرعب والمخاوف .

* * * *

٣ - استعادة الثقة والأمل : من خلال « الحصان / محقق الأمل » :

.. بعد مشاعر الخوف ، وأحاسيس الرعب التي عاشها الشاعر في المقطع السابق الذي يجسد « الليل / الحيوان المخيف » ، يبدأ الشاعر في «الإحساس» باستعادة الثقة والأمل من خلال وصف «الحصان / محقق الأمل» :

وقد اغتدى والطير في وُكُناتها
بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مِكَرٍ مِفَرٍ مقبلٍ مبرٍ معاً
كجُلْمود صخر حطّه السيل من علِ
كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللِّبد عن حال متنه
كما زلت الصفواء بالمتنزِّل
يطير الغلام الخِفّ عن صهواته
ويلوى بأعناق العنيف المثقّل
دَريرٍ كخُذْروف الوليد أمرَّه
تقلُّب كفّيه بخيطٍ موصّل

له أيطلا ظبي وساقا نعامة
وإرخاء سِرْحان وتقريب تَتْفُل.[1]

.. هذا الوصف للحصان يشي بإحساس الشاعر بطاقة «الأمل» ، في أن يحقق هذا الحصان الرامز للأمل شيئاً من الارتياح والإحساس «بالأمن» النفسي بعد إحساس بالخوف والرعب من «الليل / الحيوان المخيف» ، والحصان من هذه الزاوية يتجاوز بالشاعر ساحة الرعب والخوف إلى ساحة مريحة من «الاطمئنان» «والراحة النفسية» .

* * * *

٤ - التأمل المريح للطبيعة :

.. بعد مرحلة «الاطمئنان» والراحة ، تأتي مرحلة «التأمل» المريح للطبيعة من خلال « تأمل » الشاعر المريح لها :

أصاح ترى برقا أريك وميضه
كلمع اليدين في حبّيٍ مكلل

قعدت له وصحبتي بين ضارجٍ
وبين العذيب بعد ما متأملي[2]

---

(١) ديوان امرئ القيس : ١٩٠ - ٢١ .
الوكنات : المواضع التي تأوي إليها الطير . المنجرد : الفرس القصير الشعر وبذلك توصف العتاق . الأوابد : الوحش وجعله قيداً لها لأنه يسبقها فيمنعها من الفوت . والهيكل : الفرس الضخم . كميت يزل . اللبد : أي أنه أملس المتن سهلة .والصفوان : الصخرة الملساء . يلوي بأثواب العنيف : يعني يذهب بها ويسقطها من شدة عدوه . أيطلا ظبي : خاصرتا الظبي . إرخاء سرحان : هو سير الذئب ليس بالشديد . والتتفل : الثعلب .
(٢) شرح المعلقات السبع : للزوزني . ص : ٤٢ ، ٤٣ .

.. « والتأمل » هنا ينطوي على عامل « الارتياح النفس » ، ويعمق الفعل « قعدت » من عامل الارتياح النفسي للشاعر ، كما أن لفظة « صحبتي » تضفي مناخاً من الألفة والأنس الموحي بالرتياتح النفسي ..

* * * * *

٥ - الفرح بانتصار الحياة على الموت :

.. يبدو فرح الشاعر ظاهراً بانتصار عوامل «الحياة» على عوامل «الموت» ،فبعد نزول المطر ، نرى الشاعر يبيد عوامل «الموت» أو العوامل المسببة له ، فالمطر أجبر العصم على النزول من الجبال ، والسباع فرقى فيه، أما «المكاكي» من الطيور فهي فرحة جذلة تغرد في فرح :

ومـــر علـى القـنان مـن نفــيـانـه
فــأنـزل مـنـه الـعُــصْم مـن كـل منـزل

كــأن مـكـاكـي الجـواء غـــديـة
صُــبِحْن ســلافـا مـن رحـيـق مـفلفل

كـأن السبـاع فـيـه غـرقى عـشـيـة
بـأرجـائه القـصـوى أنابيش عُنْصُل [(١)]

.. فإنزال «العصم» من الجبال تمهيد للقضاء عليها ، وربالتالي القضاء على عوامل «الموت» ، وغرق «السباع» في السيل هو إغراق لعوامل

---

(١) شرح المعلقات السبع . للزوزني . ص : ٤٥ ، ٤٧ .
القنان : اسم جبل . والنفيان : ما تطاير من المطر . والعصم : الأوعال . والمكاء : طيور . والجواء : الوادي . والأنابيش : أصول النبت . والعنصل : البصل البري .

«الموت» ، وتغريد الطيور رمز لانتصار عوامل «الحياة» على عوامل «الموت» في بيئة الصحراء المخيفة ، وهو في نفس الوقت فرح للشاعر بانتصار عوامل «الحياة» على عوامل «الموت» .. ومن هنا فان «مكاكي الجواء» بمرحها وفرحها تحقق للشاعر «هاجس» الانتصار ، كما يتحقق هذا «الهاجس» من خلال «غرق» السباع وقتلها وانطمارها في السيل .. «وهاجس الانتصار» بعيد الغور هنا ، وهو يحقق لامرئ القيس «حلماً قديماً» يسكن أعماقه منذ قتل والده ، وفشل هو على الرغم من جهوده الواضحة في هذا المجال في «الانتصار» لمقتل أبيه : « وأخذ يتنقل في القبائل ، ويستنصر الأفخاذ والبطون والعشائر ، ولقي من صنوف الغدر وضروب الخذلان ، تنكر الأصدقاء والخلان ، ما أدى به - كما يقول الرواة - إلى الاستنجاد بقيصر ملك الروم ، فذهب وعاد حيث لقي حتفه في الطريق ومات غريباً ، دون أن يدرك ثأراً أو ينال مرغوباً »[(١)] .

... هذا الخِذْلان الذي منى به امروء القيس ولد لديه «هاجسا ملحاً» بالانتصار أصبح يسكنه حلما دائماً تتوق نفسه إلى تحقيقه ، وفي معنى تغريد «مكاكي الجواء» تحقيق نفسي لهذا الانتصار ، وفي «غرق السباع وموتها في الطمي والسيل» انتصار نفسي يعزز من تحقيق هذا الهاجس النفسي والحلم الدائم الملازم لامرئ القيس بالإنتصار على قتلة أبيه والأخذ بثأره .

---

(١) انظر : يديوان امرئ القيس (التصدير ص : ٦) . وكذلك انظر قصة مقتل والد امرئ القيس في : الشعر الشعراء لابن قتيبة . ج١ ، ص : ١١٤ - ١٢١ .
وكذلك : تاريخ العرب في عصر الجاهلية للدكتور : السيد عبد العزيز سالم . ص : ٣٢٦ - ٣٣٠ .

ثانياً : جوانب نفسية في معلقة : طرفة بن العبد البكري : [1]

.. تبدو بعض الجوانب النفسية في معلقة : طرفة بن العبد البكري مثل :

١ - الإحساس بالوحدة والتفرد :

... وهذا الإحساس بالوحدة والتفرد يمكن أن نلمسه في قول طرفة بن العبد :

إلى أن تحامتني العشيرة كلها
وأفردت أفراد البعير المعبَّد.[2]

... وإحساس طرفة بالوحدة والتفرد ولدته ظروفه النفسية والاجتماعية من حيث : يتمه ، واضطهاد أعمامه له ، ومن ثم نفي القبيلة وإبعادها له..

.. ونجد أن هذا الإحساس بالوحدة والتفرد يتكرر في قوله :

فمالي أراني وابن عمي مالكا
متى أدن منه ينأ عني ويبعد.[3]

---

(١) طرفة بن العبد البكري : هو : « طرفة بن العبد بن سفيان بن مالك من بكر بن وائل بن ربيعة .. وطرفة شاعر فحل من أعلام الشعر الجاهلي .
انظر : أشعر الشعراء الستة الجاهليين : اختيارات الأعلم الشنتمري . ص : ٣٥٧ - ٣٧١ . وكذلك أنظر في ترجمته :
- مختار الشعر الجاهلي : شرح : مصطفى السقا . ج١ ، ص : ٢٩٤ - ٣٠٧ .
- وكذلك مقدمة : شرحديوان : طرفة بن العبد . تقديم وتعليق : سيف الدين الكاتب ، أحمد عصام الكاتب . ص : ٥ - ٩ .

(٢) شرح المعلقات السبع : للزوزني . ص : ٧٠ .

(٣) المصدر السابق . ص : ٧٤ .

... يشير أحد الباحثين إلى هذه الناحية بقوله : « ومما زاده غماً وهماً ونقمة على الحياة خلافه مع ابن عمه مالك ، وقد عبر ألمه المكبوت وحزنه لما بينه وبين أقاربه ، وما كان يحس من وحدة وظلم بهذا البيت الخالد :

وظلم ذوي القـــربى أشـــد مـــضـــاضـــة
على المرء من وقع الحـــســـام المهند .[1]

* * * *

٢ - الإحساس بالخوف :

.. وهذا الإحساس بالخوف يمكن العودة به إلى جذور الطفولة المعذبة التي نهضت على اليتم وجور الأعمام ، ولهذا نجد أن إحساس الشاعر بالخوف تعبر عنه أبيات عديدة منه قوله :

على مـــثلهـــا أمـــضي إذا قـــال صـــاحـــبي
ألا لـيـــتـنـي أفـــديك منهـــا وأفـــتـــدي

وجـــاشت إليـــه النفس خـــوفـــاً وخـــاله
مـصـبـاً ولو أمـسى على غـيـر مَـرْصَـد.[2]

* * * * *

٣ - الإحساس بالفخر والاعتداد :

.. يأتي شعور الشاعر بهذا الإحساس تعويضاً عن الإحساس ين السابقين : الإحساس بالوحدة والتفرد ، والإحساس بالخوف ، حيث هنا

---

(١) ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي : للدكتور : عفيف عبد الرحمن . ص : ٤٤ .
(٢) شرح المعلقات السبع : للزوزني. ص : ٦٥ ، ٦٦ .

الإحساس بالفخر والاعتداد ردة فعل نفسية للشعورين السابقين ، ولعل أبرز ما يصور إحساس الشاعر بالفخر والاعتداد بقوله :

إذا القـــوم قـــالوا من فـــتى خلت أنني
عُنيت فلم أكـــسل ولم أتبلد .(١)

.. ويتضخم هذا الإحساسَ بالفخر والاعتداد ، ويأخذ مداه الأرحب في قول الشاعر :

أنا الرجل الضَّـرْب الذي تعـرفـونه
خَـشـاش كـرأس الحـيـة المتـوقـد .(٢)

.. والبيت يتضمن «كناية» واضحة عن : الرشاقة والخفة ، يشير أحد الباحثين إلى ذلك بقوله : «رموز النشاط والخفة والسرعة : الضرب : هو الرجل الخفيف اللحم والذكي وقيل الصلب الخشن والعرب كانت تمدح الرجل بالخفة والهيف ، قال طرفة :

أنا الرجل (الضـرب) الذي تعـرفـونه
خَـشـاش كـرأس الحـيـة المتـوقـد .(٣)

* * * * *

(١) شرح المعلقات السبع : للزوزني . ص ٦٦ . الضرب : خفيف اللحم . الخشاش : الحازم الماض . وكذلك انظر شرح ديوان طرفة بن العبد ص ١٩

(٢) شرح المعلقات السبع : للزوزني . ص ٧٨ .

(٣) الكناية : أساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي : تأليف / محمد الحسن علي الأمين أحمد . ص ١٩٥ .

- وقد يكون مما يوحي بالإحساس بالفخر والاعتداد ، وصف خاله المتلمس له حين قدما على عمرو بن هند : «قدمت أنا وطرفة بن العبد على عمرو بن هند، وكان طرفة غلاما معجبا تائها يتخلج في مشيته بين يديه ، فنظر إليه نظرة كادت تقتلعه من مجلسه، وكان عمرو لا يبتسم ولا يضحك » - انظر : شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات : لابن الأنباري . تحقيق وتعليق : عبد السلام محمد هارون . ص ١١٥ .

٤ - **الحكمة والتأمل** : النفسية المتأملة :

.. وجانب الحكمة والتأمل في شعر طرفة يعكس حالة نفسية للشاعر إزاء الحياة والكون ، ومن جوانب التأمل والحكمة قول طرفة :

أرى قـــبـــر نـحَّـــام بـخـــيل بمالـه

كـــقـــبـــري غَـــوِيٍ في البَطالة مـــفـــســـد

تـرى حـــشـــوتين من تراب عليـــهـــمـــا

صـــفـــائح صم من صـــفـــيـح منضـــد.[1]

.. وقوله في موضع آخر :

أرى العـــيـش كنزاً نـاقـــصـــاً كل ليلة

ومـــا تـنـقـض الأيام والـدهر يـنفـــد.[2]

.. وقوله :

وظلم ذوي القـــربى أشـــد مـــضـــاضـــة

على المرء من وقـع الحـــســـام المهند.[3]

.. وقوله :

ســـتـــبـــدي لك الأيام مـــا كنت جـاهلا

ويـأتـيـك بالأخـــبـــار مـــا لم تـزود

ويـأتـيـك بـالأخـــبـــار من لـم تبع لـه

بتـــاتا ولم تضـــرب له وقت مـــوعـــد.[4]

(١) شرح المعلقات تاسبع : لالزوزني . ص : ٧٣ .
(٢) المصدر السابق : الصفحة نفسها .
(٣) نفسه . ص : ٧٧ .
(٤) نفسه . ص : ٨٤ .

..وهذه الأبيات التي تعبق بالتأمل والحمنة ، هي ثمرة لإحساس الشاعر بظواهر الحياة من حوله، وقد تكون إحساساً عميقاً وحاداً بمأساته الإنسانية وإحساسه بقرب نهايته، حيث مات قتيلاً شاباً ، فبعض الروايات تذكر أنه مات في العشرين من عمره ، يصفه شارح المعلقات السبع بقوله : «من أحدث الشعراء سنا وأقلهم عمراً قتل وهو ابن عشرين سنة فيقال لخ ابن العشرين» [١] .

* * * *

ثالثاً : جوانب نفسية في معلقة : زهير بن أبي سلمى المزني [٢] :

.. تبدو بعض الجوانب النفسية في معلقة زهر بن أبي سلمى ومن أبرزها :

١ - الإحساس بالضياع وسؤال الأطلال :

...والإحساس بالضياع عند سؤال الأطلال يتبدى في قول الشاعر زهير:

---

(١) شرح المعلقات السبع : لالزوزني . ص : ٥٠ / الهامش .

(٢) زهير بن أبي سلمى المزني : هو : « بن ربيعة بن رباح من مزينة ..»

- انظر : شرح شعر : زهير بن أبي سلمى . صنعة : أبي العباس ثعلب ص : ١٣ .

وانظر في ترجمته :

- أشعار الشعراء الستة الجاهلين : اختيارات : الأعلم الشنتمري . ص : ٢٦٩ - ٢٧٧ .

- مختار الشعر الجاهلي : شرح : مصطفى السقا . ج١ . ص ٢٢٢ - ٢٢٦ .

- وكذلك انظر ترجمة زهير ، وآراء النقاد فيه في :

- الفكرة والصورة في شعر : زهير بن أبي سلمى : تأليف : فتحية محمود فرج العقاد . ص : ٧ - ١٦ .

وقـفت بهـا من بعـد عـشـري حـجـة

فـلأيا عـرفت الدار بعـد توهم.[1]

.. والإحساس بالضياع هنا يتضمن الإحساس «بالفقد» والغياب، فقد الأحبة والأهل ، وفقر الديار منهم، ولعلنا نلمس البعد «الزماني» الذي عمق من حالة« الغتراب » والإحساس بالضياع عند رؤية الأطلال :

« عشرين حجة » حيث يتجسد الزمن عامل بعد ونأي عن هذه الأطلال الحبيبة إلى نفس الشاعر .. ورغم دبيب الحياة من لون آخر في تلك الأطلال من خلال تحرك «الحيوان» بها رمز حياة، وغياب أحبة وأهل معا :

بـهـا العين والآرام يمشين خلفـه

وأطلاؤها ينهـضن من كل مـجـثم.[2]

.. رغم هذا المناخ الذي يَعِجُّ بالحياة والحركة الحيوانية ظل الشاعر يعاني من الإحساس بالفقد والضياع لفقد الأهل والأحبة الذين نأوا ونزحوا، ولعل حالة الضياع والإحساس بها يعمقعها :«فلأيا» ، «توهم»، حيث المعاناة في التعرف على المكان المنشود للأطلال والسقوط فريسة للوهم والخطأ : «بعد توهم » .

* * * * *

(١) شرح المعلقات السبع : للزوزني . ص : ٨٦ ، وكذلك : انظر : شعر زهير بن أبي سلمى : صنعة الأعلم الشنتمري . تحقيق : د . فخر الدين قباوة . ص : ١٠ .

(٢) شرح المعلقات للزوزني : ص ٨٦ . وكذلك انظر : شعر زهير بن أبي سلمى : صنعة الأعلم الشنتمري . ص : ١٠ .

٢ - اللوعة والخوف من المجهول والحديث عن الظعائن :

.. يرتبط حديث زهير بن أبي سلمى عن الظعائن ، بذلك الإحساس باللوعة ، والخوف من المجهول، والظعائن : «جمع ظعينة ، لأنها تظعن مع زوجها من الظعن والظعن وهما الارتحال بالعلياء أي بالأرض العلياء أي المرتفعة » [(١)] .

... وفي معنى آخر : «الظعائن : النساء على الإبل . الواحدة ظعينة . ثم كثر حتى صار يقال للمرأة ظعينة» [(٢)] .

.. وحديث زهير عن الظعائن يستغروق جزءاً من المعلقة ما يقارب تسعة أبيات :

١ - تبصر خليلي هل ترى من ظعائن
تحملن بالعلياء من فوق جرثم

٢ - علون بأنماط عتاق وكِلّة
وراء حواشيها مشاكهة الدم

٣ - وفيهن ملهى لّلطيف ومنظر
أنيق لعين الناظر المتوسم

٤ - بكرن بكورا واستحرن بسُحْرة
فهن ووادي الرس كاليد في الفم

---

(١) شرح المعلقات السبع : للزوزني . ص ٨٨ / الهامش .

(٢) شرح شعر : زهير بن أبي سلمى : صنعة : أبي العباس ثعلب :تحقيق : د. فخر الدين قباوة . ص ١٩ .

جرثم : ماء بعينه . أنماط : ما يبسط من صنوف الثياب . الكلة : الستر القليل . المشاكهة : المشابهة . ورد : يضرب لونه للحمرة . القنان : اسم جبل لبني أسد .

٥ - بهـــا العين والآرام يمشين خلفـــه
وكم بـالقـنـان مـن مُـــحِلٍ ومُـــحْـــرِمِ

٦ - ظهـــرن من السُّـــوبان ثم جـــزعنه
على كل قـــيني قـــشـــيب ومُـــفْـــأم

٧ - ووركّن في السُّـــوبان يعلون مـــتنه
عـلـيـــــهـن دل الـنـاعـم المـتـنـعـم

٨ - كـــأن فـــتـــات العِـــهْن في كل منزل
نـــزلـــن بـــه حـــب الـــفـنـــا لـــم يـــحـــطـــم

٩ - فـلمـــا وردن الماء زرقـــا جَـــمـــامُـــه
وضـــعن عِـــصِـيَّ الحـــاضـــر المتـــخـــيِّم (١)

.. والأبيات السابقة تصور رحلة الظعائن، تلك الرحلة الوداعية التي خلفت للشاعر الإحساس «باللوعة» ، «والخوف من المجهول» لغياب هذه الظعائن، غير أن هذا الإحساس باللوعة والخوف من المجهول سرعان ما يتخذ لونا آخر من الإحساس .

* * * * * *

(١) شرح شعر : زهير بن أبي سلمى : صنعة : أبي العباس ثعلب : تحقيق : د. فخر الدين قباؤة . ص : ١٩ - ٢٢ .
السوبان : اسم واد بعينه . المفأم : الموسع . العهن : الصوف . الفنأ : شجر له حب أحمر . زرقا جمامه : صاف . وضعن عصى الحاضر المتخيم : كناية عن الإقامة .

٣ - الإحساس بالأمن عند تصوير الظعائن :

.. والإحساس بالأمن هنا معادل نفسي للإحساس السابق باللوعة والخوف من المجهول السابق ، والإحساس بالأمن يتبدى في حديث زهير عن الظعائن ، وخاصةفيما يتصل بنزول هذه الظعائن وإقامتها ، فكما أن «الرحيل» لهذه الظعائن فجر الاحساس باللوعة والخوف من المجهول ، فأن «إقامة» هذه الظعائن - وإن كانت وجيزة - تثير في الشاعر معاني الأمن والوداعة، وهذا ما تثيره فينا أبيات مثل قول الشاعر :

كأن فتات العهن في كل منزل
نزلن به حب الفنا لم يحطم

فلما وردن الماء زرقا جمامه
وضعن عصيّ الحاضر المتخيم [(١)]

.. أو قوله وهو يعرض لجانب «جمالي» مريح للنفس وباعث للإحساس «بالأمن» من خلال الظلال الهادئة الوديعة التي يرسمها البيت :

وفيهن ملهى للطيف ومنظر
أنيق لعين الناظر المتوسم. [(٢)]

.. يشير أحد الباحثين إلى هذه الناحية بقوله : «كما يعود جمال صورة إلى جمال تشبيهاته، حيث شبه بلوغ النسوة إلى «وادي الرس» ببلوغ اليد المنقبضة الأصابع بفم الآكل ، بما توحيه من تلقائية السرور والطمأنينة والقرب» . [(٣)]

---

(١) شرح شعر : زهير بن أبي سلمى : صنعة : أبي العباس ثعلب : ص ٢٢ .
(٢) المصدر السابق : ص ٢٠ .
(٣) خصوبة القصيدة الجاهلية ، ومعانيها المتجددة : لمحمد صادق حسن عبد الله . ص : ٢٤٤ .

... ولا شك أن حديث زهير عن الظعائن - خاصة ما يتصل بالإشارة إلى جانب الأمن النفسي في رحلتها قد جاء بعد حديثه العاصف المليء بالخوف عن الحرب وويلاتها ، وانتهائها بالسلام الذي امتدت ظلاله الوارفة الوديعة إلى «الظعائن» لتشملها بمسحة أمن نفسي ، وبالتالي لينعكس هذا الإحساس بالأمن النفسي على الشاعر ..

.. وفي إشارة الشاعر إلى «زرقة» الماء في قوله :

فلما وردن الماد زرقا جمامه
وضعن عصى الحاضر المتخيم

.. والزرقة : شدة الصفاء ، ونصل أزرق وماء أزرق إذا اشتد صفاؤهما ، والجمع زرق ومنه زرقة العين . (1)

.. «زرقاء جمامه إذا صفا الماء رأيته أزرق إلى الخضرة» (2) .

.. «وقوله : زرقاء جمامه يعني أنه صاف ، وإذا صفا الماء رأيته أزرق إلى الخضرة ، والجمام : جمع جمة وجم ، وهو ما اجتمع من الماء وكثر »(3) .

.. وصفاء الماء من هذه الزاوية يتسق وحالة « الصفاء » النفسي الوادعة التي رسمها زهير للظعائن .

.. أما أرتباط « جمام الماء » وكثرته باللون « الأزرق » فان : «التعريف العلمي للماء أن يكون عديم اللون في الكميات الصغيرة ، وإذا

---

(1) شرح المعلقات السبع : للزوزني : ص ٩٠/ الهامش .
(2) شرح شعر : زهير بن أبي سلمى ك صنعة : أبي العباس ثعلب . ص ٢٢ .
(3) شعر : زهير بن أبي سلمى ك صنعة : الأعلم الشنتمري . ص ١٤ .

كان بكميات كثيرة رؤيت له مسحة زرقاء » [١] .

* * * * *

٤ - الإحساس بالملل والضجر والسآمة :

.. وحالة « الضجر والملل » هي : « حالة يكون فيها الانتباه مشتتا ومضطربا من جراء آلية العمل الذي يقوم به الإنسان وقيام بعض العوائق التي تحول دون تغيره أو تنوعه » [٢] .

.. والإحساس بالملل والضجر والسآمة نلمسه في قول زهير :

سـئـمت تكاليف الحـيـاة ومن يعش

ثمـتـانين حـولا لا أبا لك يسـأم [٣]

.. وقد يكون للإحساس بالملل والضجر والسآمة علاقة بالمناخ المحيط بالشاعر والذي كان يعج بروائح الحرب والفناء والقتل ، فأدى هذا إلى إحساس الشاعر بالملل من هذه الحياة المليئة بالقتل والدمار والخالية من عناصر الاستقرار المشجعة على الاستمتاع بجمال الحياة المنشودة ، فالإحساس بالضجر والملل والسآمة ينبثق إذاً من هذا الشعور اليائس بأعادة الوئام والسلام إلى الحياة المحيطة بالشاعر ، ولكننا نلمس أن نغمة اليأس هذه تسيطر على الشاعر السيطرة الكاملة ، وذلك أنه ظل يؤمل

---

(١) رسالة الألوان : لابن حزم الأندلسي : تحقيق : عدد من الباحثين . ص : ٢٠ / الهامش .

(٢) معجم المصطلحات النفسية والتربوية : إعداد : د . محمد مصطفى زيدان . ص : ١٥٨.

(٣) شرح المعلقات السبع : للزوزني : ص ٩٠/ الهامش .

السلام والأمن للحياة المحيطة به حتى تحقق نتيجة توسط : هرم بن سنان، والحارث بن عوف [(١)] للصلح بين عبس وذبيان المتنازعتين في حرب : « داحس والغبراء » [(٢)] .

* * * * *

٥ - أسلوب السخرية والتهكم نتيجة الإحساس بالمرارة واليأس :

.. فقول زهير :

فتغلل لكم ما لا تغل لأهلها

قرى بالعراق من قفيز ودرهم [(٣)]

.. يحمل نبرة سخرية وتهكم نتيجة الإحساس بالمرارة واليأس من إنتهاء الحرب الطاحنة التي التهمت الرجال وخربت الديار .

يصف « ثعلب » قول زهير السابق :

فتغلل لكم ما لا تغل لأهلها

قرى بالعراق من قفيز ودرهم

بقوله : « وهذا تهكم منه أي استهزاء هذا عن الأصمعي . ويقال فيه : إذا قتلتم فيها أخذتم الدية فكثرت أموالكم . فشبه ما يأخذون من ديات قتلاهم بالغلات » [(٤)] .

---

(١) هرم بن سنان ، والحارث بن عوف : وهما الساعيان اللذان تحملا ديات حرب داحس والغبراء .
انظر : شرح القصائد العشر : االتبريزي . ص : ١٣٥ .

(٢) انظر : شرح المعلقات السبع : للزوزني . ص : ٩١ / الهامش .

(٣) المصدر السابق : ص : ٩٧ . القفيز : مكيال .

(٤) شرح شعر زهير بن أبي سلمى : صنعة : ثعلب . ص : ٢٨ ، ٢٩ .

.. ويصف الأعلم الشمنتري معنى البيت السابق بقوله : « هذه الحرب تغل لكم من الديات ، بدماء قتلاكم ، ما لا تغل قرى بالعراق ، وهي تغل القفيز والدرهم ، وإنما يتهكم بهم ويستهزئ بهم » [1] .

... وأسلوب السخرية والتهكم هنا ناتج عن إحساس الشاعر بالمرارة واليأس من إنتهاء هذه الحرب الضروس التي أفنت الرجال وخربت الديار .

* * * * *

٦ - الحكمة والتأمل : النفسية المتروية :

.. والحكمة والتأمل في شعر زهير ملمح واضح وبارز وهو ناتج عن « نفسية زهير المتروية » المتعلقة التي تصدر عن ترو وتعمق في الحياة : « فعالمه الفني هو إنعكاس هادئ لعالمه الواقعي ، والواقع العقلي لديه هو صنو المثال » [2] .

.. ولعلنا هنا لا نفصل جانب الحكمة والتأمل عن التأثير الذي أحدثته الحرب في نفسية الشاعر فجعلته يسوق هذه الحكم داعياً من خلالها إلى التروي والهدوء النفسي في وقت كانت فيه النفوس أحوج ما تكون نفسياً ووجدانياً إلى سماع هذه الحكم التأملية المؤثرة .

... ومن حكم زهير قوله :

ومن لم يصانع في أمور كثيرة
يُضَرَّس بأنياب ويوطأ بِمَنْسِمِ

(١) شعر زهير بن أبي سلمى : صنعة : الأعلم الشنتمري . ص : ٢٠ .
(٢) موسوعة الشعر العربي : الشعر الجاهلي : اختيار وشرح : مطاع صفدي - إيليا حاوي ، المجلد الثاني . ص : ٣١٠ .

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله
على قومه يستغن عنه ويذمم

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه
وان يرق أسباب السماء بسلم

ومن يجعل المعروف في غير أهله
يكن حمده ذما عليه ويندم

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم. [١]

.. والحكم السابقة متسقة - نفسياً - والواقع الحربي المحيط بالشاعر ، ومعظمها تستبطن مناخاً نفسياً مفعما بالحرب والموت .

.. يصف أحد الباحثين المحدثين دور زهير في بث الحكمة ودورها فيما يتصل بالحرب بقوله : « ذلك الصوت الهادئ الذي يقدر نعمة الأمن فيدعو الأقوام إلى اعتناقها ، وعلى استلال الأحن والحقاد من نفوس العرب ، ليقطفوا ثمرات الأمن والاستقرار هو صوت زهير بن أبي سلمى الذي شهد حروب غطفان ، فانبعث صوت الحكمة في معلقته ، ولذلك كان هذا الشاعر الكبير جديراً أن يوصف في ذلك الزمن البعيد بأنه رجل السلام ، وأخلص دعاة الأمن والاستقرار في تلك الحياة العربية التي خضبت أرضها الدماء ، وترملت فيها النساء ، وتيتم الولدان » . [٢] .

(١) شرح المعلقات السبع : للزوزني : ص ١٠٢ ، ١٠٤ .
بمنسم : المنسم للبعير بمنزلة الظفر للإنسان .
(٢) معلقات العرب : للدكتور : بدوي طبانة ، ص : ٢٠١ .

.. والحكمة جزء من تكوين زهير النفسي القائم على التروي والأناة والتعقل ، ولهذا انبعثت هذه الأبيات التأملية في الحكمة ، تعكس لنا الجانب التأملي النفسي الذي يتميز به زهير ملمحا نفسياً وذهنياً بارزين .

* * * * *

رابعاً : جوانب نفسية في معلقة لبيد بن ربيعة العامري : [1]

.. ومن الجوانب النفسية في معلقة لبيد بن ربيعة العامري هذه الجوانب :

١ - الإحساس بالضياع وسؤال الأطلال :

.. والإحساس بالضياع نلمسه في قول لبيد :

فوقفت أسألها وكيف سؤالنا
صما خوالد ما يبَين كلامه

عريت وكان بها الجميع فأبكروا
منها وغودر نوءيها وثُمامها . [3]

---

(١) لبيد بن ربيعة العامري : هو : « لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر الملقب بربيعة المقترين » .
- انظر : شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ص : ٣ . تحقيق : د. إحسامن عباس .
- وانظر في ترجمته : المصدر السابق . ص : ٣ - ٣٠ . - وكذلك : مختار الشعر الجاهلي : شرح : محمد سيد كيلاني . ج٢ . ص : ٣٧٩ - ٣٨٢ .
- لبيد بن ربيعة العامري : للدكتور : يحي الجبوري . ص : ٥٧ - ٨٩ .

(٢) انظر شرح المعلقات السبع : للزوزني . ص : ١١١ .
وكذلك : انظر شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري . ص : ٢٩٩ - ٣٠٠ .
الثمام : ضرب من الشجر رخو يسد به خلل البيوت .
- انظر : شرح المعلقات السبع للزوزني . ص : ١١١ / الهامش .

.. والإحساس بالضياع تولد عن فقد الأهل والذين رحلوا فلم يبق إلا بقايا من أطلالهم ، ويلفت النظر هنا إلى حالة الصمت التي ظلات أفق المكان فبانت معه الأطلال جامدة خامدة لا حياة فيها ، يشير ابن النحاس إلى طبيعة تساؤل لبيد : « وكيف سؤالنا » يقول : « ومعنى وكيف سؤالنا على التعجب أي كيف نسأل ما لا يفهم ؟ » . (١)

* * * * *

٢ - الإحساس بالفخر الجماعي :

.. والإحساس بالفخر الجماعي هنا تذوب فيه الـ «أنا» في «الجماعة، وحالة الإحساس بالفخر الجماعي هنا تعكس « تعقل» لبيد ، وتقديمه صالح القبيلة على مصالح الذات ، بما يوحى بعدم الأنانية ، والاهتمام بالجماعة المحيطة ، واهتماما بالقبيلة ، وتقديماً لصالحها على صالح الذات ، وهذا الشعور يحمل فيضاً من التعقل

.. يقول لبيد في هذا المقام :

إنّا إذا التقت المجامع لم نزل
منا لزازُ عظيمة جَشّامها

---

(١) شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات : صنعة ابن النحاس . ج١ . ص : ١٣٢٥ .

النؤى : جدول يجعل حول الخباء ليتسرب فيه الماء .

الثمام : شجر يلقى على البيوت لسد خللها .

ومـــقَّـــسمٌ يعطي العـــشـــيـــرة حـــقـــهـــا
ومُـغَـذْمِـرٌ لحـقـوقـهـا هضّـامـهـا. [1]

* * * * * *

٣ - الإحساس بالفخر الذاتي :

.. ونلمس الإحساس بالفخر الذاتي في قول لبيد :

ولقـــد حـــمـــيت الحي تحـــمل شكتي
فـــرط وشـــاحي إذ غـــدوت لجـــامـــهـــا
فـــعـلوت مـــرتيـــا على ذى هبـــوة
حـــرج إلى أعـــلامـــهن قـــتـــامـــهـــا . [٣]

.. ونلاحظ أن الإحساس بالفخر - هنا - وان أخذ إطاراً ذاتياً إلا أن ملمحه العام لا يشي بالفخر بالذات ، فالحماية كانت للقبيلة ومن أجلها ، وبالتالي فالفخر هنا وإن كان ذاتياً إلا أنه يتلبس حالة الجماعة والقبيلة .

* * * * *

---

(١) شرح المعلقات السبع : للزوزني . ص : ١٣٦ .
- وكذلك : انظر : شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري . ص : ٣١٩ .
الجشام : المتكلف للأمور . المغذمر : الذي يضرب الحقوق في بعضها فيأخذ من هذا ويعطي هذا . الهضام : الذي يعطي قوماً ويحرم آخرين بتدبير .

(٢) شكتي : الشكة : السلاح . فرط : فرس سريع . وشاحي : إذا غدوت لجامها : يضَع لجامها على عاتقه . الهبوة : الغبار .

٤ - الإحساس بالأرض المقفرة :

.. تضخم الإحساس بالطلل المقفر إلى الإحساس بالأرض المقفرة عند لبيد ، وقد شكل هذا الإحساس ملمحاً بارزاً في معلقة لبيد ، بحيث إن لبيدا مضى يتحدث عن ناحية «القفر» في الطلل قبل أن يتطرق إلى سؤال الأطلال ، فمن بداية المعلقة بدا لبيد ينفعل «يقفر» الطلل وخلوه من الحياة :

عفت الديار محلها فمُقامها
بمنى تأبد غَوْلها فرِجامها. [١]

فمدافعُ الريان عُرّيَ رسمها
خَلَقَا كما ضَمِن الوحيّ سِلامها [٢]

دِمَنٌ تَجَرّم بعد عهد أنيسها
حجج خلون حلالُها وحرامُها [٣]

رزقت مرابيع النجومَ وصابها
وَدْق الرواعد جَوْدها فِرهامها

من كل سارية وغاد مدجن
وعشية متجاوب أرزامها

(١) منى : جبل أحمر . تأبد : توحش . غولها فرجامها : موضعان .
(٢) مدافع : أماكن اندفاع الماء. الريان : وادي . الوحى : الكتابة . سلامها : الحجارة .
(٣) تجرم : مرت عليه السنون .

فـعـلا فـروع الأيهُـقـان وأطفلت
بالجـهلتين ظبـاؤها ونهـامـهـا
والعِين سـاكنة على أطلائهـا
عُـوذا تأجَّلُ بالفضـاء بِهـامـهـا
وجـلا السـيـولُ عن الطلول كـأنهـا
زُبُرٌ تُجِـدُّ مـتـونَهـا أقـلامـهـا
أو رجعُ واشـمـة أُسِفَّ نؤورها
كِـفَـفـاً تَعَـرَّض فـوقـهن وشـامـهـا . (١)

.. وتكاد معلقة لبيد تتميز بهذا الإسهاب في وصف « قفر » الطلل قبل مساءلته والحديث إليه أو الحوار معه ، فمعظم المعلقات يمضي فيها الشعراء من البداية في مساءلة الطلل والحوار معه ، لكن لبيدا مضى يرسم لوحة « القفر » أولاً قبل أن يسائل الطلل ويتحدث إليه .

---

(١) شرح المعلقات السبع : للزوزني : ص : ١٠٦ - ١٠٠ .
وكذلك انظر : شرح ديوان : لبيد بن ربيعة العامري . ص ٢٩٧-٢٩٩ .
وانظر في موضوع «الأرض والقفر» عند لبيد كتيب : « الفتنة بالشاعر اليوت خطر على الأدب العربي » للدكتور : عبد الله الطيب .
مرابيع : أمطار الربيع . وصابها : جادها أو أصابها . جودها : المطر الكثير . الرهام : المطر اللين . سارية سحابة .
مدجن : غيم متلبد . الأرزام : حنين الناقة استعارة للسحابة .فعلا : شب وارتفع . الايهقان والجهلتان : مواضع . العين : البقر . عوذا : حديثات النتاج . تأجل : تسير . بهامها : البهم أولاد الضأن . زبر : كتب . النوؤر : مادة الوشم . كففا : دوائر .

.. ونلاحظ أن « إحساس » الشاعر بالأرض المقفرة قد تلون « بالحزن » والقتامة ، ذلك الحزن الذي يفصح عنه تعداد الأماكن « والتكرار » في ذكرها ، يصف الدكتور : عبد الله الطيب جانب « التكرار » في هذا المقام ومؤثراته النفسية فيقول : « وهذا التكرار أريد به ، تقوية عنصر الفراق والنوى ، وتأكيد الحزن واليأس وما هو من هذا القبيل ، وكل ذلك يقوي الصورة ، ويزيد في تأثير المعنى العام ، ويضفي لونا عاطفياً حزيناً على جو القصيدة ». [1]

.. ويكاد يكون « الإحساس » بالأرض القفر ، أبرز أحاسيس الشاعر لبيد ، ومن هذه الزاوية سيطر هاجس الأإض القفر على لبيد ، وشكل أبرز ملامح معلقته .

* * * * *

ه - الشعور بالإنتصار على الخصم :

.. والشعور بالإنتصار على الخصم يمثله لنا بيتا لبيد :

غُلْب تشذر بالذحول كأنها
جنّ البَدِيّ رواسياً أقدامها
أنكرت باطلها وبؤت بحقها
عندي ولم يفخر علّي كرامها . [3]

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها : للدكتور : عبد الله الطيب . ج٢ . ص : ٥٢٣ .

(٢) شرح المعلقات السبع : للزوزني : ص : ٣٤ . وانظر كذلك : شرح ديوان : لبيد بن ربيعة العامري . ص : ٣١٧ ، ٣١٨ . غلب : غلاظ الأعناق . تشزر : تتهدد وتتوعد . الذحول : الأحقاد . البدى : موضع . وبؤت : اعترفت .

.. ولبيد في هذين البيتين يعظم من الخصوم ويشيد بقوتهم ، حتى يتيح مناخاً لوصف قوته وشكيمته في الانتصار على هؤلاء الخصوم : « وكلما كان الخصم أقوى وأشد فإن قاهره وغالبه أقوى وأشد » .[1]

.. ونلاحظ أن الشعور بالإنتصار على الخصم قد جاء في إطار متعقل منضبط بعيد عن الإنفعال والحدة ، وهذا الشعور المتزن الهادي هو إنعكاس لنفسية لبيد الهادئة .. يشيو أحد الباحثين إلى هذه الناحية بقوله : « بل إن في حياته خلال حميدة أخرى باهى بها وافتخر بذكرها من مثل مروءته وعزة نفسه وصبره على المكاره وحلمه وتعقله وحسن ادابه » .[2]

* * * * *

خامساً : جوانب نفسية في معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي :[3]

.. ومن الجوانب النفسية في معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي هذه الجوانب :

١ - الإحساس بالفخر وتضخم الـ« أنا » :

.. ويكاد يكون الإحساس بالفخر وتضخم الـ « أنا » هو « الشعور

---

(١) شرح المعلقات السبع : للزوزني . ص : ١٣٤ / الهامش .
(٢) لبيد بن ربيعة العامري : للدكتور : يحي الجبوري . ص : ٢٩١ .
(٣) عمرو بن كلثوم التغلبي : هو عمرو بن كلثوم التغلبي : «في تغلب، وفي بيت السادة منها ، نشأ عمرو، فأبوه كلثوم كان أحد فرسان تغلب ، وجده لأمه مهلهل أخو كليب» . - انظر : نعلقة عمرو بن كلثوم : بشرح أبي الحسن بن كيسان . تحقيق : د . محمد إبراهيم البنا . ص : ١٣ . وانظر في ترجمته المصدر السابق . ص : ١٣ - ١٩ . وكذلك انظر في ترجمته : مختار الشعر الجاهلي . شرح : محمد سيد كيلاني . ج٢ ص : ٣٥٩-٣٦٠.

المسيطر» على معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي .

.. والـ « أنا » : « هو الذات التي ترد إليها أفعال الشعور جميعها وجدانية كانت أو عقلية ، وهو دائماً واحد ومطابق لنفسه وليس من اليسير فصله من أغراضه ، ويقال الغير والعالم الخارجي » [1] .

.. والإحساس بالفخر وتضخم الـ «أنا» تبرزها لنا عدة أبيات في المعلقة منها :

ورثنا المجد قد علمت معد
نطاعن دونه حتى يبينا

ونحن إذا عماد الحي خرت
على الأحفاض نمنع من يلينا [2]

ونحن الحاكمون إذا أطِعْنا
ونحن العازمون إذا عُصِينا

ونحن التاركون إذا سخطنا
ونحن الآخذون لما رضينا [3]

وأنّا المانعون لما يلينا
إذا ما البيض زايلت الجفونا

وأنّا المنعمون إذا قَدَرْنا
وانا المهلكون إذا أتينا

---

(١) المعجم الفلسفي :ص : ٢٣ .

(٢) شرح القصائد العشر : للتبريزي : ص ٢٦٥ .

(٣) المصدر السابق . ص : ٢٧٩ .

وأنّا الشاربون الماء صفوا
ويشرب غيرنا كدرا وطينا [1]

ملأنا البر حتى ضاق عنا
وظهر البحر نملاه سفينا[2]

.. ونلاحظ أن الـ « أنا » هنا تبرز الأبيات السابقة من خلال :

« ونحن » « وأنا » بشكل ظاهر .

.. ومن خلال تضخم الإحساس بالـ « أنا » تضخم الشعور بالفخر، وانطلق الشاعر من خلال إحساسه ذلك برسم صورة للفخر الذاتي الذي يصل إلى حد المبالغة ، والبيت الأخير يكشف كثيراً عن هذه المبالغة الواضحة :

ملأنا البر حتى ضاق عنا
وظهر البحر نملاه سفينا

.. وقد يكون وراء تضخم الشعور بالفخر الذاتي ، وتضخم الـ « أنا » هنا مناخ المنافرة التي تمت بين عمرو بن كلثوم التغلبي ممثلا لبني تغلب، والحارث بن حلزة اليشكري ممثلا لبني بكر أمام عمرو بن هند ملك الحيرة[3] ، حيث كان لشعور المنافسة الحار والحاد الأثر الواضح في ظهور

---

(١) المصدر نفسه . ص : ٢٨٤ .
(٢) نفسه . ص : ٢٨٨ .
الاحفاض : الحفض : متاع البيت أو البعير الذي يحمل خرثي البيت .
(٣) انظر : شرح القصائد العشر : للتبريزي . ص : ٢٥٢-٢٥٤ (المتن والهامش).
وكذلك انظر : مختار الشعر العربي . المجلد الثاني .
تحقيق وشرح : محمد سيد كيلاني . ص : ٣٣٧-٣٣٨ ، ٣٥٩-٣٦٠ .

الإحساس بالفخو الذاتي ، وتضخم الشعور بالـ « أنا » بهذا الشكل الظاهر البارز .

* * * * * *

٢ - الإحساس بالتحدي والإصرار :

.. والإحساس بالتحدي والإصرار ولده موقف المنافسة الساخنة ، والمنافرة الحارة بين عمرو بن كلثوم التغلبي ، والحارث بن حلزة اليشكري أمام عمرو بن هند ملك الحيرة ، والإحساس بالتحدي والإصرار وثيق الصلة بالإحساس السابق : «الإحساس بالفخر الذاتي ، وتضخم الشعور بالـ « أنا » لأنهما ينطلقان منطلقا واحداً « الشعور بإثبات الـ « أنا » في مواجهة الخصم والآخر .

.. ومن الأبيات التي تصور الإحساس بالتحدي والإصرار قول عمرو بن كلثوم :

إليكم يابني بكر إليكم
ألما تعرفوا منّا اليقينا

ألما تعلموا منا ومنكم
كتائب يطّعِنّ ويرتمينا (١)

على آثارنا بيض كرام
نحاذر أن تُفَارِق أو تهونا (٢)

---

(١) مختار الشعر الجاهلي : ص ٣٧١ .
(٢) المصدر السابق : ص ٣٧٣ .

إذا نحـــــــــــهنّ فـــــلا بقـــــينا

لشـيء بعـــــدهن ولا حـــــــينا .[1]

.. وهكذا نلاحظ أن الإحساس بالتحدي والإصرار للخصم قد انطلق منطلقاً واحداً ، وهو : الشعور بإثبات الـ «أنا» في المواجهة .

* * * * *

٣ - الشعور بالخوف عند الحديث عن الظعائن :

.. وهذا الشعور بالخوف نلمسه عند حديث الشاعر عن « الظعائن » حيث موقف «الوداع» والفرقة ، والإحساس المتولد عن الخوف من المجهول، والخوف من التفرق .. والموت وغيره .. فعندما يقول عمرو بن كلثوم :

قـــفي قـــبل التـــفـــرق ياظعـــينا

نخـــبـــرك اليـــقين وتخـــبـــرينا .[2]

يحمل بيته هذا فيضاً من الشعور بالخوف من التفرق .. أو الموت ، لاسيما وأن البيت الذي سبق هذا البيت كان يحمل إشارة إلى «الموت» :

وأنـا ســـــــوف تـدركـنـا المـنـايـا

مـــقـــدرة لـنا ومـــقـــدرينا .[3]

.. والشعور بالخوف عند الحديث عن « الظعائن» الراحلة ، هو جزء من الشعور العام للشاعر « بالخوف » ضمن مناخ حربي ملتهب ساخن يلمع

---

(١) المصدر السابق : ص ٣٧٤ .

(٢) مختار الشعر الجاهلي . المجلد الثاني . ص : ٣٦٢ .

(٣) المصدر السابق . ص : ٣٦١ .

فيه طيف «الموت» باستمرار .

* * * * *

٤ - الإشعار بالتهديد والوعيد :

.. ضمن إطار نفسي عام يأتي « إشعار » الشاعر « بتهديد ووعيد » الخصم إنذاراً نفسياً وشعوراً بالتهديد ، وذلك ما يفصح عنه بيت الشاعر الشهير :

ألا لا يجهلن أحد علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا [(١)]

.. في ختام فصل تنافسي ساخن لاهب مع الخصم ، جعل الشاعر خاتمة معلقته الملتهبة بالحماس والفخر والوعيد ، هذا البيت ، وكأنه يكشف من خلاله كل معاني التهديد والوعيد للخصم ، ويلخص معلقته الملتهبة بالتهديد الشعوري في هذا البيت .

* * * * *

سادساً : جوانب نفسية في معلقة عنترة بن شداد العبسي : [(٢)]

.. والجوانب النفسية في معلقة عنترة بن شداد أبرزها هذه الجوانب :

(١) مختار الشعر الجاهلي . المجلد الثاني . ص : ٣٧٥ .

(٢) عنترة بن شداد العبسي : هو : «عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن مراد من بني عبس » .
انظر : شرح ديوان عنترة بن شداد . ص : (ح ، ط) . وانظر ترجمته في المصدر السابق ص (أ - ف) . وكذلك انظر في ترجمته : مختار الشعر الجاهلي . شرح : مصطفى السقا ج١ ص ٣٦٢-٣٦٨ . وانظر تاريخ الأدب العربي - كارل بروكلمان ج١ ترجمة : الدكتور عبد الحليم النجار . ص ٩٠ ، ٩١ .

١ - الإحساس بالضياع وسؤال الأطلال :

.. والإحساس بالضياع وسؤآل الأطلال نلمسه في قول عنترة :

هل غـــادر الشـــعـــراء من مـــتـــردَّم

أم هل عـــرفت الدار بـعـــد تـوهم. (١)

.. ولفظة « توهم » هنا تجسد الإحساس بالضياع ، ويذكر « ابن النحاس » بيتين آخرين يسبقان البيت السابق وهما :

ولقـــد حـــبـــست بهـــا طويلا ناقـــتي

ترغـــو إلى ســـفع رواكـــد جـــثم. (٢)

* * * * * *

٢ - الفخر والإحساس بالذات :

.. والإحساس بالذات عند عنترة جزء من قبضه على مبدأ كينونته وإنسانيته التي سعى إلى إيجادها في وسط قبلي أنكر نسبته (٣) .

.. ومن هذه الزاوية سعى عنترة إلى إثبات هذه «الذات» عن طريق الفخر بها «فروسياً» :

هلا ســـألت الخـــيل يا ابـنة مـــالك

إن كـنـت جـــاهلـة بما لـم تـعلـمـي. (٤)

---

(١) شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات : صنعة ابن النحاس . ج٢ . ص : ٥ .
(٢) شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات : صنعة ابن النحاس . ج٢ ص ٥ . الصفع : الأثافي وهي أحجار الموقد .
(٣) انظر : شرح ديوان : عنترة بن شداد . ص (ح - ص - ل) ، تحقيق عبد المنعم شلبي ، تقديم : إبراهيم الابياري
(٤) المصدر السابق . ص ١٤٩ .

يخبرك من شهد الوقيعة أنني
أغشى الوغى وأعَفُّ عند المغنم
ومدجَّج كره الكماة نزاله
لا ممعنٍ هربا ولا مستسلم. [1]
جادت يداي له بعاجل طعنة
بمثقَّفٍ صَدْقِ الكُعوب مقسوم
فشككت بالرمح الأصم ثيابه
ليس الكريم على القنا بمحرَّم
فتركته جَزَر السباع يَنُشْنَه
ما بين قُلّة رأسه والمعصم [2]

.. ونلاحظ أن «الشجاعة» تصبح ملمحا لإثبات «الذات» بها ، والإحساس بها في جو فقدت فيه واندثرت .

* * * * * *

٣ - الإحساس بالانتصار والتشفي :

.. والإحساس بالانتصار والتشفي وثيق الصلة بالإحساس السابق بالذات والفخر بها ، ويبدو الإحساس بالانتصار والتشفي بعداً آخر أكثر

---

(١) المصدر نفسه . ص : ١٥٠ . المدجج : الذي توارى بالسلاح .
(٢) شرح ديوان ك عنترة بن سداد . ص : ١٥٠ ، ١٥١ .
المثقف : المصلح المقوم . والكعوب : عقد الأنابيب . الصدق : الصلب .
ثيابه : درعه . قلة رأسه : أعلاه .

حدة في سبيل الإحساس بالذات الضائعة غير المحدودة ، أن بيت عنترة - التالي - يمثل لنا شيئاً غير قليل من الإحساس بالانتصار والتشفي :

ولقد شفى نفسي وأبرأ سُقْمَها
قيل الفوارس ويك عَنْتَر أقدمِ

« وشفاء النفس » ، «وإبراء سقمها » يمثل جزء من التشفي النفسي .

.. يعلق أحد الباحثين على بيت عنترة السابق :

ولقد شفى نفسي وأبرأ سُقْمَها
قيل الفوارس ويك عَنْتَر أقدمِ

بقوله : «فالشاعر يعاني من احتقار القوم له ما يشبه الداء الدفين الذي لا علاج له ، حتى إذا ظهر معيروه على حقيقتهم ، وبان تخاذلهم وجبنهم، وقسروا على الاستنجاد به ، يندفع فرحاً ، مترنما كأن نداءهم هو أجمل نداء تسمعه أذناه، لأنه يدل على أنهم لا يعترفون بمساواته لهم وحسب، بل بتفوقه عليهم، واستئثاره بالبطولة دونهم ، ولقد كانت الحرب علاجاً لدائه» [(١)] .

* * * * * *

٤ - الإحساس بشعور الانتقام :

.. الإحساس «بالدونية» لدى عنترة ، والبحث عن «الذات» ، والإحساس بالإنتصار والتشفي انتصارا «للذات» وإثباتاً لها ، يتوجه عنترة هنا : بالإحساس بشعور الانتقام الذي يتبدى في قوله :

---

(١) موسوعة الشعرب العربي . الشعر الجاهلي . المجلد الأول . ص : ٥٢٢ .

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر
للحرب دائرة على ابني ضَمْضَم
الشاتمي عرضي ولم أشتمهما
والناذرين إذا لقيتهما دمي
إنّ يفعلا فلقد تركت أباهما
جَزَر السباع وكلِّ نسر قَشْعَم.[1]

.. ويتسق ذكر الأبيات الثلاثة السابقة في نهاية المعلقة، مع الشعور بالإنتقام في سبيل « الذات » الضائعة ، وإزالة الشعور « بالدونية » إحساساً ملازماً لعنترة ، ونلاحظ أن الأبيات الثلاثة السابقة ، إضافة إلى حملها ذلك الإحساس بالإنتقام ، فهي تحمل قدراً غير قليل من الشعور بالشجاعة والتحدي في مواجهة الخصوم إثباتاً للذات ، وتحقيقاً لها ، وإزالة « للدونية » شعوراً قديماً ملازماً .. ويمكن العودة بكل الجوانب النفسية السابقة : البحث عن « الذات » « والاحساس بالانتصار والتشفي » « والاحساس بشعور الانتقام » إلى «الشعور العام والحاد بالدونية» عند عنترة ، والذي نتجت عنه الأحاسيس السابقة ، «والدونية» من الزاوية النفسية هي : « الشعور بالنقص والصفة وهو شعور سوي عاردي بالضعف والعجز النسبي أو بانعدام الفعالية والكفاءة ، ويتعزز

---

(١) شرح ديوان عنترة بن شداد . ص : ١٥٤ .
القشعم : الكبير من النسور .

أحياناً بنقائص خاصة مثل الصحة الجسدية أو التشوه أو العيب ، لكنه شعور يحفز المرء دوماً ويحركه لبذل جهود من شأنها انتزاع الاعتراف من الآخرين .

.. ويقول آدلر: « إن هذا الشعور بالدونية يرفع بصاحبه إلى احراز التفوق على الغير » [1] . وقد دفع الشعور « بالدونية » عنترة إلى إحراز تفوقه على الآخرين ، وإنتزاع الاعتراف بشخصه من أقاربه عن طريق إثبات «شجاعته» وإبلائه في حروب داحس والغبراء، وكانت «الدونية» من هذه الزاوية «المحور النفسي المهم الذي شكل كل شخصية عنترة انفسية ».

* * * * * *

سابعاً : جوانب نفسية في معلقة الحارث بن حلزة اليشكري : [2]

.. ومن الجوانب النفسية في معلقة الحارث بن حلزة اليشكري هذه الجوانب :

١ - الإحساس بالهم والحزن والبكاء :

.. والحزن : « حالة إنفعالية تتصف بمشاعر غير سارة وتعبر عن ذاتها

(١) موسوعة : علم النفس : إعداد : د.. أسعد رزوق : مراجعة . د . عبد الله عبد الدايم ص ١٣٤ . القشعم : الكبير من النسور .

(٢) الحارث بن حلزة اليشكري : « هو : الحارث بن حلزة بن مكروه بن بديد بن يشكر من بني بكر » .
- انظر : شرح القصائد العشر : للتبريزي ، ص : ٢٨٩ .
- انظر ترجمته في : مختار الشعر الجاهلي . شرح محمد سيد كيلاني ، ج٢ ص ٣٣٧-٣٣٨ - وتاريخ الأدب العربي ، كارل بركلمان : ترجمة الدكتور / عبد الحليم النجار ج١ ص : ١٠٣ .

بالتأوه والبكاء وقلة الميل إلى تحريك العضلات الإرادية .. »[1] .

.. ومما يصور الإحساس « بالبكاء» عن الحارث بن حلزة قوله :

لا أرى من عهدت فيها فزبكي الـ

يوم دلهاً وما يحير البكاء .[2]

.. وحالة الإحساس بالبكاء والحزن ولدها منظر الأطلال الخالية الباعثة على الحزن والهم .

* * * * *

٢ - المواجهة النفسية للخصم :

.. وجانب المواجهة النفسية للبخصم تولد عن معلقة الحارث بن حلزة اليشكري قد قيلت في مناخ تنافسي ساخن مع عمرو بن كلثوم التغلبي أمام عمرو بن هند ملك الحيرة (٣) ، ومن هذه الزاوية برز الإحساس بالمواجهة النفسية للخصم ، الذي تبرزه لنا أبيات الحارث :

أيها الناطق المرقِّش عنا

عند عمرو وهل لذاك بقاء

---

(١) معجم علم النفس : تأليف الدكتور : فاخر عاقل ، ص ١٠٠ .

(٢) شرح المعلقات السابع : للزوزني : ص ١٨٥ . دلها : الدالة : ذهاب العقل .

(٣) انظر : شرح القصائد العشر : للتبريزي : ص ٢٨٩ و ٢٩٠ .

- وكذلك انظر : مختار الشعر الجاهلي . شرح : محمد سيد كيلاني . ج٢ ص : ٣٣٧ ، ٣٣٨ .

المرقش : المزين القول بالباطل .

لا تَـخَـلْـنـا عـلـى غِـــــــراتـك إنــا

قـــبـل مـــا قـــد وشى بناالأعـــداء

فـــبـــقــينا على الشَّناءة تنمـــيـــ

ــنا حـــصـــون وعـــزة قـــعـــســـاء [1]

.. ومن الأبيات الدالة على المواجهة النفسية للخصم قول الحارث :

ان نبـــشــتم مـــا بين مِلْحـــة فـــالصّــا

قب فـــيـــه الأمـــوات والأحـــيـــاء

أو نقـــشــتم فـــالنقش يجْـشَـــمـــه النَّا

س وفـــيـــه الإســـقـــام والإبراء

أو سكـتـم عـنا فكـنا كـــمـن أغـــ

مض عـــينا في جَـــفْـــتنهـــا الأقـــذاء

أو منعـــتم مـــا تُسْـــألون فـــمن حُـــدّ

ثتـــمـــوه له علـينا العـــلاء . [2]

.. ويلاحظ أن الأبيات تأخذ وضع المساءلة الحادة مع الخصم في حرارة

---

(١) شرح المعلقات السبع : للزوزني . ص ١٩٠ . لا تخلنا لا تحسبنا .
- وكذلك : شرح القصائد المشهورات : لابن النحاس . ح٢ ص ٦٣-٦٤ .
الشناءة : البغض . الغرة القعساء : المنيعة الثابتة .

(٢) شرح المعلقات السبع : للزوزني ص ١٩٢ ، ١٩٣ .
وكذلك أنظر : شرح القصائد المشهورات : لابن النحاس . ج٢ ص ٦٧ ، ٦٨ .
ملحة : مكان . الصاقب : جبل . نقشتم : استقصيتم . يجشمه : يتكلفه . الاقذاء : القذى ، ما يسقط في العين . العلاء : العلو والرفعة .

وتوهج واضح ونلاحظ تكرار حرف «الشين» في : «نبشتم» ، «نقشتم» ، «فالنقش» ، « يجشمه» مما يوحي بصعوبة الموقف النفسي وشدته .

* * * * *

٣ - التأمل - الحكمة : النفسية المتأملة :

.. وهو جانب يبرز من خلال قول الحارث :

لا يقـــيم العـــزيز بـالبلد الســـهـــ

ـــل ولا ينـفع الذليـلُ الرجــــاءُ . [١]

.. وقلة أبيات التأمل والحكمة مصدرها المناخ الارتجالي الذي قيلت فيه قصيدة الحارث [٢] ، والتي لم يتح له معها اعمال الجانب النفسي التأملي، والتي يتح له معها أعمال الجانب النفسي التأملي فقلّت أبيات التأمل ، بحيث إنها تركزت في البيت السابق، وفي لمحة حكمة ، ورائحة تأمل مثل قوله :

يـخلطون الـبــــــرئ منـا بذي الذنـــ

ـــب ولا ينفع الخلي الخـــــلاء. [٣]

.. والموقف الارتجالي الحماسي اللاهب للقصيدة قلل من جانب التأمل والحكمة فيها .

* * * * * *

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني . ص : ١٩٤ .

(٢) انظر : شرح القصائد العشر : للتبريزي . ص : ٢٩٠ .

وكذلك : انظر : مختار الشعر الجاهلي . شرح محمد سيد كيلاني . ج٢ ، ص : ٣٣٨

(٣) شرح المعلقات السبع : للزوزني . ص ١٨٨ . الخلاء : البراءة والترك .

٤ - الشعـور بالفخـر :

.. نهضت معلقة الحارث بن حلزة اليشكري - أصلاً - على الفخر ، وعجت أبياتها العديدة بهذه الناحية، ولا شك أن « الفخر » ملمحاً فنياً في المعلقة يقف خلفه - ولا شك - شعور عارم بالفخر على الخصم في مجال المنافسة الحادة والساخنة مع بني تغلب التي كان يمثلها سيدها وفارسها : عمرو بن كلثوم التغلبي .

.. يصف التبريزي مناخ معلقة الحارث بن حلزة اليشكري فيقول : «وقام الحارث بن حلزة وهو أحد بني كنانة بن يشكر فارتجل قصيدته ارتجالا وتوكأ على قوسه، فزعموا أنه انتظم بها كفه وهو لا يشعر من الغضب . »[١]

.. وقد برز الشعور بالفخر نتيجة للموقف التنافسي الساخن مع بني تغلب أمام عمرو بن هند ، والتي ارتجل من أجلها الحارث قصيدته، يصف الأصمعي « الإقواء » الذي ظهر بالقصيدة : « قال الأصمعي : قد أقوى الحارث بن حلزة في قصيدته التي ارتجلها ، قال :

فـملكنا بذلك الناس حتى
ملك المنذر بن ماء السماء

.. قال أبو محمد : ولن يضير ذلك في القصيدة، لأنه ارتجلها فكانت كالخطبة » [٢] .

(١) انظر : شرح القصائد العشر : للتبريزي . ص : ٢٩٠ . . وكذلك انظر : مختار الشعر الجاهلي . المجلد الثاني . شرح وتحقيق : محمد كيلاني . ص : ٣٣٨ .
(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة : تحقيق : أحمد محمد شاكر ١٩٧ ، ١٩٨.

.. ومن أبيات الفخر في القصيدة :

فملكنا بذلك الناس حتى
ملك المنذر بن ماء السماء [1]

وفككنا غل امرئ القيس عنه
بعد ما طال حبسه والعناء

ما جزعنا تحت العجاجة إذ ولـ
ـوا شلالا إذ تلظى الصلاء

وولدنا عمرو بن أم أناس
من قريب لما أتانا الحِباء [2]

* * * * * *

ثامناً – جوانب نفسية في معلقة الأعشى [3] :

.. ومن الجوانب النفسية في معلقة الأعشى هذه الجوانب :

---

(١) شرح القصائد العشر: للتبريزي . ص ٣٠٧ .

(٢) شرح المعلقات السبع : للزوزني . ص ١٩٩ ، ٢٠٠ .
العجاجة الغبار . الصلاء : مصدر صليت بالمنار أصلي . الحباء : المهر أو الصلة .

(٣) الأعشى : «هو ميمون بن قيس بن جندل» .
انظر : ديوان الأعشى الكبير : ميمون بن قيس شرح وتعليق د. محمد محمد حسين ص (ن) .
انظر ترجمته في المصدر السابق ص (ن – ش) . وكذلك انظر في ترجمته :
– مختار الشعر الجاهلي : شرح محمد سيد كيلاني ج٢ ص ٩٣-٩٦ .
– صناجة العرب : الأعشى الكبير للدكتور : مصطفى الجوزو . ص ١٦ – ٢٤ .

١ - الإحساس بالوحدة والتفرد :

.. والإحساس بالوحدة والتفرد يجسده لنا قول الأعشى :

ودع هريرة إنّ الركب مـــــرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل [(١)]

.. والذي فجر الإحساس بالوحدة والتفرد هذا الموقف الوادعي ، الذي يجعل من الوداع عبئاً نفسياً ثقيلاً قد لا تحتمله النفس :

* وهل تطيق وداعا أيها الرجل *

.. إن الشطر الشعري بصيغته التساؤلية ، يجعل الشاعر نهباً لإحساس عارم بالوحدة والتفرد قاتل قد لا يستطيع تحمله .

.. يصف أحد الباحثين الموقف الوادعي في البيت السابق فيقول :

« بل إنه في أثناء حديثه عن هريرة يذكر لك في الشطرة الأولى أنها رحلت :

* ودع هريرة إن الركب مرتحـل *

إذا هو في الشطرة الثانية يبدو ضيق النفس من الوداع فيقول :

* وهل تطيق وداعا أيها الرجل * »[(٢)]

.. والملاحظ هنا أن قصيدة الأعشى استعاضت بالاستهلال « الوداعى عن الاستهلال الطللي » الذي تعودناه في قصائد أصحاب المعلقات باستثناء معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي ، ويتفق « الاستهلال الوداعي »

---

(١) انظر : ديوان الاعشى : تحقيق د. / محمد محمد حسين . ص ٥٥ .
وانظر : شرح القصائد العشر : للتبريزي . ص ٣٢٨ .
(٢) الأعشى : للدكتور / محمد التونجي . ص : ١٠٧ .

مع «الاستهلال الطللي» في طابع الحزن والهم والإحساس بالوحدة عاملاً نفسياً مشتركاً بين الاستهلالين .

* * * * *

٢ - التأمل والحكمة : النفسية المتأملة :

.. والتأمل والحكمة يجسدها لنا بيت الأعشى الشهير :

كناطح صخرة يوما ليفلقها

فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل . [(١)]

.. وهذا البيت حقق من الشهرة الشيء الكثير مما جعله يأخذ وضع الحكمة الشهيرة ، يتحدث أحد الباحثين عن شهرة هذا البيت فيقول :

« ولعل أقوى بيت في مقطع الهجاء ، ذلك الذي أصبح هو الآخر مثلاً وفيه يقول :

كناطح صخرة يوما ليفلقها

فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

فصار يتمثل به كناية عن حماقة كل من يتصدى لمحاولة ما يفوقه قوة وصمودا »[(٢)] .

.. وقلة أبيات التأمل والحكمة في شعر الأعشى يقود إلى إنصرافه إلى جوانب جمالية في شعره ، وإلى انطلاق شعره وفق منهج فني يقوم على

---

(١) شرح القصائد العشر : للتبريزي : ص ك ٣٤٣ .
وكذلك : ديوان الأعشى : ص ٦١ .

(٢) موسوعة الشعر العربي : الشعر الجاهلي . المجلد الثاني . ص : ٢٠ .

الطبع والتدفق الذي لا تعبأ بجوانب حكمة إلا ما جاءت عرضا ، لانصرافه إلى نواح مادية حسية مباشرة وتلقائية لا تحفل بالتأمل والحكمة وإنما ترصد المظاهر الآنية المباشرة وما تحقق له من حسية نفعية مباشرة .

* * * * *

٣ - الشعور بالثقة والقوة :

.. والشعور بالثقة والقوة يستبطن هذا الإحساس العميق بالغضب، ، والغضب : « إنفعال مكون من مجموعة محدودة من الرجاع يستثار بواسطة إلحاق أذى فعلي أو خيالي بالإنسان أو الوقوف في وجه رغباته ، وهو يتصف بالامتعاض ويشمل على فعاليات هجومية وعدائية » [(١)] .

.. ومن الأبيات التي تمثل « الشعور بالثقة والقوة » قول الأعشى :

انا نقاتلهم حتى نقتلهم
عند اللقاء وهم جاروا وهم جهلوا

قد نخضب العَيْر من مكنون فائلة
وقد يشيط على أرماحنا البطل

لئن قتلتم عميدا لم يكن صَدَدًا
لنقتلنْ مثله منكم فنمتثل

لئن منيت بنا عن غِبّ معركة
لم تلفنا من دماء القوم ننتقل . [(٢)]

(١) معجم علم النفس . تأليف الدكتور / فاخر عاقل . ص ١٦ .

(٢) ديوان الأعشى . شرح وتعليق : د. محمد محمد الحسين ص ٦١-٦٢ . فائلة : الفائل : عرق يجري من الجوف إلى الفخذ . ومكنون الفائل : هو : الدم . يشيط : الشطط : الغلو . عميدا : سيدا . صددا : مقابلا أو قريبا له .

.. وهذه الأبيات تنطق بالغضب والحدة والتحدي ، وتعكس شعورا واضحا بالثقة والقوة .

* * * * *

٤ - الإحساس بالفخر الذاتي :

.. والإحساس بالفخر الذاتي ، وثيق الصلة بالشعور السابق : « الشعور بالثقة والقوة » لأنه يعبر عن أمجاد الذات بشكل أو بآخر ، ومن شعر الفخر الذاتي ، الذي يعبر عن إحساس واضح بالتعالي والشموخ قول الأعشى :

نحن الفوارس يوم العين ضاحية
جنبي « فُطَيْمَةَ » لا ميل ولا عُزل

قالوا الركوب ! فقلنا تلك عادتنا
أن تنزلون فانا معشر نزل . [1]

.. ونلاحظ أن الافتخار هنا أخذ وضع الحديث عن : « الجماعة » ، «ونحن» « ونا » المتكلمين مؤشرات على ذلك ، يتحدث أحد الباحثين عن هذه الناحية بقوله : « وشعور الأعشى ، في الفخر ، شعور جماعي تنوب فيه الأنا في النحن ، وإذا الشاعر يندمج في القبيلة ، وإذا القبيلة صورة له ، فنحن أمام كتلة واحدة متماسكة » . [2]

.. والإحساس بالفخر الذاتي ، هو جزء من عملية « المديح » هاجس الأعشى الأصلي الذي عرف به واشتهر .

(١) ديوان الأعشى : شرح وتعليق د. محمد محمد الحسين . ص ٦٣ .
(٢) صناجة العرب : الأعشى الكبير . للدكتور : مصطفى الجوزو . ص : ١٠٩ .

تاسعاً – جوانب نفسية في معلقة النابغة الذبياني : (١)

.. وفي معلقة النابغة الذبياني تبرز بعض الجوانب النفسية مثل :

١ - الإحساس بالضياع وسؤال الأطلال :

.. والإحساس بالضياع وسؤال الأطلال نلمسه في قول النابغة :

يادار مـــيــــة بالعلـيـــا ء فـــالسند
أقـــوت وطال عليـــهـــا ســالف الأبد

وقـــفت بهـــا أصـــيــلانا أسـائلهـــا
عـــيت جـــوابا ، ومـــا بالربع مـن أحـد . (٢)

.. والإحساس بالضياع ولّد في أعماق الشاعر هذه اللوعة التي جعلته يصف قفر الديار وخلوها من السكان ، واصفا لوعته وإحساسه بالضياع من جراء ذلك ، غير أن الشاعر سرعان ما يثوب من هذا الإحساس متعلقاً بأهداب « الأمل » ليسلو من هذا الإحساس لمتعب له حين ينتقل سريعاً إلى الإشارة إلى « ناقتـه » مناط أمله ، وحاملتـه إليـمواطن الرجاء والأمل وحقول الأماني الجميلة :

---

(١) النابغة الذبياني : هو : « زياد بن معاوية ، وقيل : زياد بن عمرو ابن معاوي بن سعد بن ذبيان» . انظر : ديوان النابغة الذبياني . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ص ١٣ .. انظر في ترجمته : المصدر السابق . ص ٥ – ٦ . وكذلك في ترجمته انظر : مختار الشعر الجاهلي . شرح : مصطفى السقا . ج١ ص ١٤٢.١٤٨ .
– تاريخ الأدب العربي . كارل بروكلمان ج١ ص ٨٨ ،٨٩ .

(٢) ديوان النابغة الذبياني : تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ص ١٤ .
العلياء : ما ارتفع من الأرض .
السند : سند الجبل وهو ارتفاعه يسند إليه . السالف : الماضي .
الأبد : الدهر . أصيلانا : تصغير أصيل وهو العشي .

فـــعـــد عـــمـــا تـرى إذ لا ارتجـــاع لـه
دائم القـــتـــود على عـــيـــرانةٍ أجُـدُ [1]

* * * * * *

٢ - التأمل والحكمة : النفسية المتأملة :

.. ضمن إطار لاهب من « الخوف » كان يعيشه النابغة انطلق الجانب اتأملي من خلال بيتي النابغة :

فـــمن أطاعك فـــانفـــعـــه بطاعـــتـــه
كـــمـــا أطاعك ، واد لله على الرشـــد
ومن عـــصـــاك فـــعـــاتبـــه مـــعـــاتبـــة
تنهي الظلوم ولا تقـعـد على ضـمـد [2]

.. ونلاحظ أن مناخ البيتين يأخذ تشكيلة من غرض القصيدة البارزة : الاعتذار للنعمان ، وطلب صفحة عن الشاعر ..

.. ومناخ الاعتـذار يعبق ولا شك بمعان نفسية : كالضعف ، والجزع : « وأمـا في اعـتـذاريـاته فـإنـه يحـول قـدرتـه على توليـد المعـاني وتضـخيـمـهـا إلى وصـف جزعـه وفرقـه وقلـة شـأنه ، كـوسـيلة لتعظـيم النعمـان واستعطافه ، بقـدر ما يتضـاءل الشـاعر ويتصـاغر

---

(١) ديوان النابغة الذبياني : تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . ص ١٦ .
القتود : عيدان الرحل . العيرانة : ناقة تشبه العير في القوة والنشاط .
الأجد : الموثقة الخلق ، يقال : بنيان مؤجد إذا كان مرصوصا بعضه إلى بعض .
(٢) ديوان النابغة الذبياني : ص ٢١ .

بقدر ذلك يتعاظم النعمان » [1] .

.. ومن هذه الزاوية يبرز الدور الرائد والواضح للنابغة الذبياني في تشكيل غرض « الاعتذاريات» غرضا شعريا قلده الشعراء فيه - فيما بعد - وأصبح للنابغة دور الريادة الشعري في إيجاد هذا الغرض الذي يمتزج فيه الخوف بالتوسل ضمن علاقة إنسانية نابضة حسية .

* * * * *

٣ - الحماس في الدفاع عن النفس :

.. وجانب الحماس النفسي في الدفاع عن النفس يمكن أن توضحه أبيات النابغة :

ما قلت من سيء مما أتيت به
إذاً فلا رفعت سوطي إلى يدي
إلاّ مقالة أقوام شقيت بها
كانت مقالتهم قرعا على الكبد
أبنئت أن أبا قابوس أوعدني
ولا قرار على زأر من الأسد
مهلا فداء لك الأقوام كلهم
وما أثمرّ من مال ومن ولد

---

(١) موسوعة الشعر العربي : الشعر الجاهلي . المجلد الثاني . ص : ٢٣٨ .

لا تقـذفني بـركن لا كِـفـاء لـه

وان تـأثـفك الأعـداء بـالرِّفَـد [1]

.. ونلاحظ أن الحماس النفسي في الدفاع عن النفس قد استبطن الشعور العام عند الشاعر وهو : القلق والفزع ، يصف أحد الباحثين هذا الجانب مشيراً إلى هذه الأبيات فيقول : « ثم انظر إلى هذه الصورة القوية الجميلة الرائعة التي تصور وعيد أبي قابوس بزئير الأسد ، وليست الصورة تنتهي عند هذا بل إنها لتحمل إليك فزع النابغة فهو لا يقر له قرار وهو لا تهيأ له نفس بل يظل مشتت الفكر حائر الضمير يتهدده الأسد بزئيره ، والنفي المطلق في « ولا قرار » قد أشاع هذا الفزع المفزع » [2] .

* * * * *

٤ - الإحساس بالخوف :

.. والإحساس بالخوف هو « المحور النفسي » الذي دارت حوله اعتذاريات النابغة للنعمان ، وهو « محور » المعلقة النفسي البارز ، وحالة الخوف عند النابغة نفسياً تقر به مما يسمى في علم النفس بحالة : « الخوف/الرعب » التي تفسرّ بأنها : « أحد الانفعالات البدائية والعنيفة ، يمتلك المرء فيشله عادة عن الحركة ويجمد نشاطه ، يتميز الخوف بحدوث

---

(١) ديوان النابغة الذبياني : ص ٢٥ ، ٢٦ .
أبو قابوس : النعمان بن المنذر . لا تقذفني بركن لا كفاء له : لا ترميني بنفسك فإنه لا مثل لك . تأثفك : أي اجتمعوا حولك واحتوشوك . الرفد : التعاون .
(٢) النابغة الذبياني : للدكتور : محمد زكي العشماوي . ص : ٩٠ .

تغيرات واسعة المدى في الجسم ، كما يتصف بسلوك لدى الشخص قوامه الهرب والفرار أو الكتمان والإخفاء ومنه الرعب والفزع والجزع وارتعاد الفرائض والخشية والرهبة » [1] .

.. وجميع الحالات النفسية المتفرغة عن حالة « الخوف / الرعب » التي ذكرها التعريف مثل : الفزع ، الجزع ، ارتعاد الفرائض ، والخشية والرهبة تنطبق على موقف النابغة النفسي وتعبر عنه إلى حد كبير .. ومما يجسد « حالة الخوف » قول النابغة :

ها إن ذي عـــذرة إلا تكن نفـــعت
فـإن صاحـبـها مـشـارك النكد . [2]

.. والبيت وهو يأتي في آخر المعلقة مجسداً حالة « الخوف » عند النابغة ، يعكس لنا حالة النابغة النفسية التي يلونها عدم الصفاء والانزعاج ، ولا شك أن : « مشارك النكد » تعكس هذا الوضع النفسي وتؤكده .

* * * * * *

---

(١) موسوعة : علم النفس : اعداد : د. أسعد رزوق . مراجهة : د. عبد الله عبد الدايم . ص ١٢٨ .

(٢) ديوان النابغة الذبياني . ص : ٢٨ .

عاشراً – جوانب نفسية في معلقة عبيد بن الأبرص الأسدي : (1)

.. ومن الجوانب النفسية في معلقة عبيد بن الأبرص الأسدي :

١ - الإحساس بالوحدة :

.. والإحساس بالوحدة عند عبيد تبرزه أبياته التي تتحدث عن قفر المكان وخلوه من الأهل والأحبة :

أقفر من أهله ملحوب	فالقُطَبيّات فالذَّنوب
فراكس فثعالبات	قذات فِرْقين فالقليب
فَعْردة فقفا حِبِرٍّ	ليس بها منهم عريب
وبُدِّلَتْ من أهلها وحوشا	وغَيَّرَتْ حالها الخطوب
أرض توارثها شَعوب	وكل من حلها محروب
إمّا قتيلٌ وإمّا هالك	والشيب شين لمن يشيب (٢)

(١) عبيد بن الأبرص الأسدي : هو : « عبيد بن الأبرص (بن عوف) بن جشم بن عامر ابن مالك بن زهير بن سعد بن ثعلبة » .
– انظر ديوان عبيد بن الأبرص : تحقيق : د. حسين نصار . ص : ١٤ .
– وانظر في ترجمته : المصدر السابق . ص : ٨ - ١٨ .
– وكذلك انظر في ترجمته :
– مختار الشعر الجاهلي . شرح : محمد سيد كيلاني . ج٢ ص ٣-٧ .
– تاريخ الأدب العربي . كارل بروكلمان ج١ ص : ١١٠ .
ملحوب : ماء بني أسد . القبيات : جبل . الذنوب : موضع في ديار بني أسد . فراكس ، فثعالبات ، ذات فرقين ، القليب : أسماء مواضع . عرده : هضبة بعينها ، شهوب: اسم للمنية . محروب : مسلوب أو ذهب ماله .

(٢) شرح القصائد العشر : للتبريزي . ص : ٣٦٥ .

.. إن الذكريات التي تشتعل في أعماق الشاعر مؤكدة على الإحساس بمعنى «الوحدة» لديه ، تعكس حالة «الفجيعة» بفقد الأهل والأحبة ، وخلو الديار منهم والإشارة إلى القتل : «قتيل» ، والهلاك : «هالك» وإلى الشيب : نذير نهاية واضمحلال : «الشيب» مؤكدات على «تشاؤم» الشاعر المفرط ، وانبثاق هذا التشاؤم من خلال خلو الديار وقفرها ، ودلالات الموت والنهاية الفاجعة ، والتشاؤم أفضى بحالة الشاعر إلى حالة «الكآبة» ، التي : «يكون الشخص عندها منهكا حزينا يائساً» [١] .

* * * * * *

٢ - الإحساس بالحزن :

.. والإحساس بالحزن وثيق الصلة ، بالإحساس السابق « بالوحدة » فقفر الديار وخلوها من الأهل والأحبة ، أفضى إلى حزن ظاهر ، سكب من أجله الشاعر الدموع الغزيرة :

عيناك دمعهما سَروب ... كأن شأنيهما شَعيب
واهيةٌ أو معينٌ مُمْعِنٌ ... من هَضْبةٍ دونها لُهوب
أو فَلَجٌ ببطن واد ... للماء من تحته قسيب
أو جدول في ظلال نخل ... للماء من تحته سُكوب[٢]

---

(١) المفاهيم والألفاظ : في الفلسفة الحديثة : يوسف الصديق ص ١٣٩ .
(٢) شرح القصائد العشر : للتبريزي . ص ٣٦٦ .
سروب : كثير الجريان . (الشائنين) الشائنات : عرقان ف الرأس تجري منهما الدموع إلى العين . شعيب : القربة الخَلَق . واهية : بالية . الكعين : الماء . الممعن : الذاهب أو المسرع : لهوب : الشق بين جبلين . الفلج : النهر . القسيب . صوت جري الماء . الجدول : النهر الصغير . سكوب : مكمنسكب

.. وربط الشاعر « للدمع » بالماء الغزير وتأكيده على هذا المعنى بربطه : « بالمعين » ، « فلج » ، « جدول » بما تنطوي عليه من تدفق ووفرة ماء كل ذلك يوحي بكمية الحزن الوافر الذي يعتمل في أعماق الشاعر والتي يرى أن دموعه تدفقت مثل تلك الأشياء بغزارة ووفرة فهي تعكس أو تدل على حزنه العميق الوافر الذي تضج به أعماقه وتمتلىء به مشاعره ...

* * * * *

٣ - التأمل والحكمة : النفسية المتأملة :

.. وجانب التأمل والحكمة يبرز في قول الشاعر :

فكل ذي نعمة محلوسها
وكل ذي أمل مكذوب
وكل ذي إبل موروث
وكل ذي سَلَبٍ مسلوب
وكل ذي غيبة يؤوب
وغائب الموت لا يؤوب [(١)]

.. وجانب التأمل والحكمة يعبر عن نفسية متأملة هادئة ، ويعكس في نفس الوقت خبرات رجل عرف الحياة ، عركها وعركته ، يروي ابن قتيبة : «وكان عبيد شاعراً جاهلياً قديماً من المعمرين .. » [(١)] .

(١) شرح القصائد العشر : للتبريزي . ص : ٣٦٧ .
مغلوسها : مستلبها .

.. ويرى في موضع آخر : « وقتله النعمان بن المنذر يوم بؤسه . ويقال انه لقيه يومئذ وله أكثر من ثلاثمائة سنة » (٢) .

.. هذا العمر الطويل « ثلاثمائة سنة » يعكس تجارب الرجل الطويلة في الحياة ، وخبرته العميقة بجوانبها : « حتى سمى من دهاة العرب ، وما عرف عنه كمرجع للقبائل في حسم الأمور ، وفض النزاع ، وإحلال السلام ومنع الحروب » (٣)

.. ونلاحظ أن الأبيات السابقة تعكس جزءاً غير قليل من حكمة الرجل وتجاربه ، كما تعكس سيطرة هاجس «الموت» عليه :

* وغائب الموت لا يؤوب *

ونلاحظ في الأبيات السابقة تكرار لفظ : «كل» في ثلاث أبيات «خمس مرات» على سبيل التقرير والتأكيد على هذه المعاني التي أراد الشاعر التنبيه إليها : «والتكرار أسلوب تعبيري يصور انفعال النفس بشيء، واللفظ المكرر فيه هو المفتاح الذي ينشر الضوء على الصورة لاتصاله الوثيق بالوجدان ، فالمتكلم إنما يكرر ما يثير اهتماماً عنده ، وهو يحب في الوقت نفسه أن ينقله إلى نفوس مخاطبيه . » (٤) .

* * * * * *

٤- الإحساس بالخوف :

---

(١) الشعر والشعراء : لابن قتيبة . ج١ . ص : ٢٦٧ .

(٢) المصدر الصابق : الجزء نفسه . ص : ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(٣) موسوعة الشعر العربي : الشعر الجاهلي . المجلد الثاني ص ٥٦٤ .

(٤) التكرير بين المثير والتأثير : للدكتور عز الدين على السيد .ص ١٣٧ .

.. والإحساس بالخوف عند عبيد ، يعبر عنه قوله :

بـل رب مـــــــــــاء وردتــه آجــن
سـبـيـلـه خـائف جـديـب
ريـش الحـمـام عـلى أرجـائه
للـقلب من خـوفـه وجـيـب [١]

* * * * * * *

.. ودلالات الخوف منتشرة في البيتين فكلمة « خائف » و « خوفه » دلالة عميقة على الخوف ، « والوجيب » دلالة نفسية عميقة على شدة الخوف ، « وريش الحمام » المتناثرة بما ينشره في أفق البيت من دلالة موت وتبدد يؤكد المعنى النفسي للخوف المرتبط بالموت ، وكلمة « جديب » هنا رابط نفسي يربط بين حالتي : « الموت / الخوف » التي سيطرت على الشاعر ، كما تذكر بقفر المكان الذي ورد في أول القصيدة :

* أقفر من أهله ملحوب *

كما أن قافية البيتين « البائية » المضمومة انعكاس لحالة الشدة والمعاناة والخوف التي يحسها الشاعر .

وحالة : « الخوف / الموت » عند عبيد بن الأبرص ، ظلت هاجساً مسيطراً على الشاعر حتى إن نهايته جاءت محققة لهذه الحالة .

---

(١) شرح القصائد العشر : للتبريزي . ص ٣٧٠ .
آجن : متغير الرائحة واللون ، خائف : مخوف . الجديب : الذي لا شجر فيه ولا نبت . الوجيب الخفقان .

يذكر ابن قتيبة : « وقتله النعمان بن المنذر يوم بؤسه . ويقال إنه لقيه يومئذ وله أكثر من ثلاثمائة سنة ، فلما رآه النعمان قال : هلا كان هذا لغيرك ياعبيد ! إأنشدني فربما أعجبني شعرك ! فقال له عبيد : حال الجريض دون القريض ، قال : أنشدني : أقفر من أهله ملحوب ، فأنشده عبيد :

أقفر من أهله عبيد   فاليوم لا يبدي ولا يعيد [١]

.. ثم قتله النعمان بن المنذر بعد أن خيره في القتلة . [٢]

.. ،لا شك أن الإحساس «بالخوف» قد كان إحساساً نفسياً بارزاً في مجموعة الأحاسيس البارزة في معلقة عبيد ، وقد كان هذا الإحساس هو أبرز هذه الأحاسيس وأكثرها علاقة بمصير عبيد ومقتله الغريب ..

---

(١) الشعر والشعراء : لابن قتيبة : ج١ . ص : ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(٢) انظر : الأغاني : للأصبهاني . ج٢٢ . ص ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ .

- مع ملاحظة أن ابن قتيبة يذكر أن الذي قتل عبيداً النعمان ابن المنذر ، مع أن صاحب الأغاني يذكر أنه : المنذر بن ماء السماء .

وقد حقق محقق « الشعر والشعراء » في الموضوع ورجح انه : المنذر بن ماء السماء جد النعمان بن المنذر (الشعر والشعراء . ج١ . ص : ٢٦٧ ، ٢٦٨ / الهامش) .

الفصل الثاني

صلة الحيوان النفسية بالإنسان الشاعر - في المعلقات -

الفصـل الثـاني

صلة الحيوان النفسية بالإنسان الشاعر - في المعلقات -

.. وصلة الحيوان النفسية بالإنسان الشاعر تبدو من خلال عدة حيوانات ذات صلة نفسية وثيقة بالإنسان الشاعر الذي عايشها زماناً ومكاناً .

.. ومن أبرز هذه الحيوانات :

أولاً : الفرس : (صلة : مشاركة وتمازج نفسي) :

.. « الفرس : واحد الخيل ، والجمع أفراس ، الذكر والأنثى في ذلك سواء » [(١)] .

.. وصلة الفرس بالإنسان بالإنسان الفارس الشاعر : « صلة مشاركة وتمازج نفسي » فقد رافق الفرس الإنسان العربي ، « الشاعر / الفارس » وشهد معه الحروب، ورافق رحلاته، وكان له نعم الصديق ، ورفيق الرحلة الصحراوية ، ولهذا كان الفرس ضمن إهتمامات مالك بن الريب التميمي عند وفاته ، لأنه يتذكر فيه - صديقاً - وملازما :

تذكـــرت من يبـكي علـي فلـم أجـــد

سـوى السـيف والرمح الرديني باكـيـا

---

(١) لسان العرب : لابن منظور : المجلد السادس : ص ١٥٩ .

وأشقر خنديذ يجر عنانه

إلى الماء لم يترك له الموت ساقيا [1]

.. وقد امتدت علاقة : «المشاركة والتمازج النفسي» بين الشعراء «والفرس» عبر مسار الشعر العربي بكافة عصوره ، يشير «الدميري» إلى شيء من هذه العلاقة بين الإنسان والفرس ، فيقول : « والفرس أشبه الحيوان بالإنسان لما يوجد فيه من الكرم وشرف النفس وعلو الهمة» . [2]

.. ونقرأ أهمية الفرس عند العرب : « واحتلت الخيل مكانة لدى العربي الجاهلي لأنها كانت وسيلته في السفر ، وعدته في الحرب ، وفي السباق ، وزينته بين الأقران من لفرسان . يقول أبو عبيدة في مقدمة كتابه: «لم تكن العرب في الجاهلية تصون شيئاً من أموالها ولا تكرمه صيانتها الخيل ، وإكرامها لها لما كان لهم فيها من العز والجمال والمتعة والقوة على عدوهم حتى إن ان الرجل من العرب ليبيت طاويا ويشبع فرسه ، ويؤثره على نفسه وأهله وولده فيسقيه المحض ويشربون الماء القراح. »[3] . وقد تخصص بعض الشعراء في وصف الخيل مثل : أبي داؤد الأيادى وطفيل الغنوي

---

(١) انظر : الاختيارين : صنعة الأخفش الأصغر : ص ٦٢٣ . وفي الروايات بدل « خنديذ» «محبوكا» .

الأشقر : الشقرة من الخيل : الحمرة الصافية . محبوكا : محكم البناء وفي رواية أخرى « خنديذ» وهو الفرس الطويل الصلب .

(٢) حياة الحيوان للدميري . ج٢ . ص : ١٥٣ .

(٣) كتاب : أسماء خيل العرب وفرسانها : لابن الأعرابي : تحقيق ودراسة : الدكتور : محمد عبد القادر أحمد . ص ٥٨ .

وسلامة بن جندل [1] .

.. وقد بدأت صلة الفرس بالإنسان الشاعر (في المعلقات) صلة : مشاركة وتمازج نفسي :

١ - فامرؤ القيس :

يخصص جزءاً من معلقته للحديث عن فرسه ، ويسبغ على هذا الفرس صفات خارقة جمالية ونفسية :

وقد اغتدى والطير في وكناتها

بمنجرد قيد الأوابد هيكلِ

مكر مفر مقبل مدبر معا

كجلمود صخر حطه السيل من علِ

كميت يزل اللبد عن حال متنه

كما زلت الصفواء بالمتنزلِ

مسح إذا ما السابحات على الونى

أثرن غبارا بالكديد المرسلِ

---

(١) انظر : موسوعة الشعر العربي - الشعر الجاهلي : مطاع - صفدي - ايليا حاوي . المجلد الثالث ص ٢٣ .

وكذلك انظر : طفيل الغنوي : حياته وشعره للدكتور : محمد عبد القادر أحمد . وانظر كذلك : الشعر والشعراء لابن قتيبة ج١ . ص ٢٧٢ ، ٤٥٣ عن سلامة بن جندل وطفيل الغنوي ، والأغاني للأصفهاني . ج١٥ . ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

يطيـــر الغــلام الخف عن صـــهـــواتـه
ويـلـوي بـأثـواب الـعـنـيـف المثـــــــقـلِ
دريـر كـــــخـــذروف الـولـيـــد أمـــره
تقلـب كـــفـــيــــه بخـــيط مـــوصلِ
كــأن على الكتـــفين منه إذا انتـــحى
مـــــداك عــــروس أو صـــراية حنظلِ
وبات علـيـــــه ســــرجــــه ولجـــامـــه
وبات بعـيـني قـائـمـا غـيـر مـرسلِ . (١)

.. والبيت الأخير يلخص شعور الشاعر نحو فرسه صديقه وملازمه .

٢ - وعنترة بن شداد العبسي :

.. وصف فرسه ورسم للعلاقة النفسية بينهما :

هلا ســـــألت الخــــيل ياأبنـة مـــــالك
إن كـنـت جـــــــاهـلـة بما لـم تـعـلـمي
إذ لا أزال عـلـى رحـــــالـة ســـــابح
نـهـــــد تـعــــاوره الـكـمـــــاة مـكـلـم

---

(١) ديوان : امرئ القيس : ص ١٩ - ٢١ .
مداك عروس : أي هو يبرق كما يبرق الحجر الذي يسحق عليه الطيب . والصراية : الحنظلة الصفراء البراقة وإذا لم تصفر فهي مغبرة . الوحالة : السرج .

طوراً يجـــــرد للطعـــــان وتارة

يأوى إلى حصد القسي عرمرم . (١)

.. وفي موضع آخر صوره عنترة جزءاً من علاقته النفسية التمازجية المشاركة مع الفرس فقال :

مـــازلت أرمــيـــهم بثغـــرة نحــره

ولبـــانه حـــتى تســـربل بالدم

فـــأزور من وقع القنا بلبـــانه

وشكا إليّ بعـــبـــرة وتحـــمـــحمِ

لو كـــان يدري مـــا المحــاورة اشــتكى

ولكان لو علم الكلام مكلمي . (٢)

.. والبيت الأخير تجسيد حي لواقع المشاركة النفسية ، فرغبة الشاعر في اكتساب فرسه صفة الكلام وإقامة «الحوار» معه تعبير عن الرغبة النفسية العميقة في المشاركة والتمازج النفسي .

* * * * * *

---

(١) ديوان : عنترة بن شداد : ص ١٤٩ ، ١٥٠ .
السابـ: الذي يدحو بيديه دحوا . والنهد : الغليظ . الكماة الشجعان . طورا : مرة.
يجرد : يهيأ . حصد : كثير . العرمرم : الكثير .

(٢) ديوان عنترة بن شداد : ص ١٥٣ .
الثغرة : الهزمة التي في الحلق . اللبان : الصدر . نحمحم : صوت مقطع ليس بالصهيل . أزور : مال . المحاورة : المراجعة ك

ثانياً – الناقة : (صلة : نفسية تمازجية نفعية) :

.. والناقة من الحيوانات وثيقة الصلة بالإنسان الشاعر – في المعلقات – ، وهي صلة نفسية تمازجية نفعية .

« والناقة : الأنثى من الإبل ، وقيل : إنما تسمى بذل؛ إذا أجذعت»[1] . ويتحدث الدميري عن الإبل – ومنها الناقة – : « والإبل من الحيوانات العجيبة وإن كان عجبها سقط من أعين الناس لكثرة رؤيتهم لها ، وهو أنها حيوان عظيم الجسم – سريع الانقياد ينهض بالحمل الثقيل ، ويبرك به ، وتأخذ زمامه فأرة فتذهب به إلى حيث شاءت ، ويتخذ على ظهره بيت يقعد الإنسان فيه مع مأكوله ، ومشروبه وملبوسه وظروفه ووسائده ، كأنه في بيته ويتخذ للبيت سقف ، وهو يمشي بكل هذه».[2]

... وهذا يؤكد على صلة التمازج النفسية النفعية بين الإنسان والناقة ، وفي قصة الشاعر الأموي : «ذي الرمة» مع الناقة وتمازجه النفسي النفعي معها ، واتخاذها سكنا ومأوى له في الصحراء ما يدعم ذلك ، حتى إن نهاية ذي الرمة كانت في – إحدى الروايات – بسبب نفور ناقته به وطرحها إياه ميتا .. يذكر صاحب « الأغاني» : « فلما توسط الفلاة نزل عن راحلته فنفرت منه ، ولم تكن تنفر منه ، وعليها شرابه وطعامه ، فلما

---

(١) لسان العرب : المجلد العاشر : ص ٣٦٢ .

(٢) حياة الحيوان : للمديري : ج١ . ص ٢٢ .

دنا منها نفرت حتى مات ، فيقال إنه قال عند ذلك :

ألا أبلغ الفتيان عني رسالة
أهينوا المطايا هن أهل هوان
فقد تركتني صيدح بمضلة
لساني ملتات من الطلوان

قال هارون : وأخبرني أحمد بن محمد الكلابي بهذه القصة ، وذكر أن ناقته وردت على أهله في مياههم فركبها أخوه ، وقص أثره، حتى وجده ميتا وعليه خلع الخليفة ، ووجد هذين البيتين مكتوبين على قوسه . »[1]

.. ومن شعراء المعلقات الذين برز تمازجهم النفسي والنفعي مع «الناقة» وورد ذلك في شعرهم :

١ - طرفة بن العبد البكري :

.. وحديث طرفة بن العبد عن الناقة يستغرق جزءاً من المعلقة :

وإني لأمضي الهم عند احتضاره
بعوجاء مرقال تروح وتغتدي .[2]

---

(١) الأغاني : ج ١٨ . ص ٤٣ .
صيدح : اسم ناقته . الطلوان : بياض يعلو اللسان من مرض أو عطش .

(٢) ديوان : طرفة بن العبد : ص ١٣ .
العوجاء : الناقة الضامرة البطن لكثرة أسفارها .
المرقال : السريعة . والأرقال : ضرب من العدو .

.. وتمضي أبيات المعلقة بعد ذلك تصف الناقة، وتتحدث عن أجزائها، حديث شاعر عرف الناقة وامتزج نفسياً معها، حيث يشكل حديث طرفة عن الناقة ما يقارب أربعة وثلاثين بيتا - (٣٤) بيتا - من مجموعة أبيات المعلقة البالغة مائة وثلاثة أبيات - ١٠٣ أبيات - تقريبا ، مما يشكل ثلث المعلقة حديثا عن الناقة لعلاقتها النفسية التمازجية النفعية مع الشاعر .

.. ويختتم طرفة حديثه عن الناقة بقوله :

على مثلها أمضي، إذا قال صاحبي :
ألا ليتني أفديك منها وأفتدي [(١)]

.. والناقة من خلال منظور هذا البيت مساعد وصديق على تجاوز المفازة المهلكة بمعنى أنها مواسية في الأزمات والصعاب ، مما يؤكد صلتها التمازجية النفسية النفعية للشاعر .

.. ولاشك أننا نجد إشارات خاطفة للناقة عند لبيد بن ربيعة العامري ، وعمرو بن كلثوم التغلبي ، أما الشاعر الذي نجده يتوقف في الوصف بعض الشيء عند الناقة بعد طرفة بن العبد ، حيث يصف الناقة وصفا لا يرقى لوصف طرفة لها ، ولكنه يقصر عنه بعض الشيء فهو :

---

(١) ديوان : طرفة بن العبد : ص ١٩ .

٢ - عنترة بن شداد :

.. حيث وصف الناقة في عدة أبيات راسما لعلاقة التمازج النفسية والنفعية مع هذا الحيوان المرتبط بالعرب والصحراء :

خطارة غب السرى موارة
تطس الأكام بذات خف ميثم
وكأنما أقص الأكام عشية
بقريب بين المنسمين مصلم [١]

ويمضي عنترة بعد ذلك في وصف الناقة ، حيث يصفها بما يقارب اثني عشر بيتا -١٢ بيتا - مؤكداً على علاقة التمازج النفسي والنفعي مع هذا الحيوان .

.. ونلمح إشارة أخرى إلى الناقة عند « الحارث بن حلزة اليشكري » حيث شبه ناقته بالنعامة في خمسة أبيات تقريباً [٢] .

.. ونلمس إشارة أخرى إلى الناقة وتشبيهها بالثور عند النابغة الذبياني :

---

(١) ديوان : عنترة بن شداد : ص ١٤٦ .
خطارة : تخطر بذنبها لنشاطها . غب السرى : أي بعده . وزيافة : تزيف في سيرها أي : تسرع . تطس : الوطس : الضرب الشديد . ميثم : شديد الوطء . المنسمان : ظفرا الظليم المقدمان في خفة . المصلم : الذي خفيت أذناه فكأنهما مقطوعتان .

(٢) شرح المعلقات السبع : للزوزني : ص ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ .

فـــتلـك تبلغـني النعــــمــــان إن لـه

فضلا على الناس في الأدنى وفي البعد[1]

.. وأخيراً نجد هذا الوصف للناقة عند :

٣ - عبيد بن الأبرص :

.. فقد وصفها عبيد بن الأبرص في أبيات عديدة منها :

قطعتـــه غــدوة مــشــيــحــا وصــــاحــــبي بادن جنوب

عــيــرانة مـؤجـد فـقــارها كـأن حــاركـهــا كـثـيـب

أخلف ، مــا بازلا سـديسـهـا لاحــــقـــة هي ولا نيـــوب

كـأنهــا من حــمــيــر غــاب جــون ، بصــفـحــتــه ندوب

أو شـــبب يرتعي الرخـــامي تلفــه شــمـــأل هبـــوب[2]

.. والوصف يوضح لطبيعة العلاقة بين «الشاعر / الناقة» وهي علاقة نفسية نفعية . غير أننا نلاحظ أن «طرفة بن العبد البكري» كان أبرز

---

(١) شرح القصائد العشر : للتبريزي . ص ٣٥٥ .

(٢) شرح القصائد العشر : للتبريزي . ص : ٣٧٠ ، ٣٧١ .

قطعته : خلفته يعني الماء . مشيحا : مجدا . صاحبي : يريد الناقة . بادن : ذات بدن وجسم . جنوب : سراجة . عيرانة : من العير وهو الحمار الوحشي . مؤجد : موثقة الخلف صلبة . فقال : خرز الظهر . حراكها : الحراك : ما انحدر من السنام . الكثيب : الرملة اللينة . أخلف : أتى عليها سنة . السديس : السن التي تأتي بعد سبع سنين للبعير . لاحقة : الحقة : التي أتى عليها من نتاجها أربع سنين ، لأنها استحقت أن يحمل عليها . هي : بتسكين الياء لغة بعض بني أسد وقيس . النيوب : الناب وهي التي عليها سبع عشرة سنة ، غاب : موضع بعينه . الجون : الأبيض والأسود . الشبب : الثور الذي قد تم شبابه . الرخامي : نبت . تلفه : تأتيه من كل وجه .

شعراء المعلقات الذين وصفوا الناقة ورسم من خلال ذلك الوصف شيئاً من طبيعة العلاقة التمازجية النفسية النفعية مع هذا الحيوان .

ثالثاً – البقرة الوحشية : (صلة : جمالية نفسية) :

.. « البقر : اسم جنس . ابن سيده : البقرة من الأهلي والوحشي يكون للمذكر والمؤنث ، ويقع على الذكر والأنثى ».(١)

.. والجاحظ في «الحيوان» يذكر – أيضاً – هذا التقسيم : « وأجناس البقر الأهلية والبقر الوحشية » . (٢)

.. والبقرة الوحشية لها صلة جمالية نفسية بشعراء المعلقات ، لأنها رمز «الجمال» ، ومن هذه الزاوية اتخذها الشعراء رمزاً جمالياً للتشبيه «للمرأة» وغيرها .

.. يشير الجاحظ ناحية «جمالية» في البقرة الوحشية تشترك مع المرأة فيها وهي : ظاهرة «التبختر» : «وقال الشاعر :

يتمشين كما تمشي القطا
أو كما يمشي جلال البقرات

لأن البقرة تتبختر في مشيتها » (٣)

---

(١) لسان العرب : المجلد الرابع : ص ٧٣ .
(٢) الحيوان : الجاحظ : تحقيق وشرح : عبد السلام هارون . ج٣ . ص ١٤٥ .
(٣) المصدر السابق : ج٥ . ص : ٢١٨ .

١ - عند امرئ القيس :

.. ونلمح جانباً من الصلة : الجمالية النفسية عند امرئ القيس في الإشارة إلى الصلة الجمالية النفسية في الإشارة إلى جمال « البقرة / المرأة» :

تصد وتبدي عن أسيل وتتقي

بناظرة من وحش وجرة مطفل(١)

٢ - زهير بن أبي سلمى :

.. ونلمس جانبا من الصلة الجمالية النفسية عند زهير في قوله :

بها العين والآرام يمشين خِلْفةً

وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم (٢)

.. «فالعين» هنا رمز لجمال النساء المفقود بالمكان ، و «العين» في إقامتها في الطلل الخالي ، تذكر بالنساء الجميلات اللواتي مضين ، وغبن عن عين الشاعر ، ولم تبق إلا «العين» تذكر الشاعر بجمالهن الغائب ، والتي ترمز « العين» له وتذكر به .

.. وشاعر ثالث يومىء إلى هذه الصلة النفسية الجمالية، وهو :

---

(١) ديوان امرئ القيس : ص ١٦ .

(٢) شعر زهير بن أبي سلمى : صنعة الأعلم الشنتمري . ص : ١٠ .

أسيل : الخد السهل . وجرة : موضع . المطفل : التي لها طفل .

٢ - لبيد بن ربيعة العامري :

.. حيث يشير إلى الصلة النفسية الجمالية للبقرة الوحشية في قوله :

والعين ساكنة على أطلائها

عوذا تأجل بالقضاء بهامها .[١]

.. «والعين» الساكنة ، رمز حي للصلة النفسية الجمالية ، حيث تذكر بالمرأة التي تفتقدها عين الشاعر في الأطلال الخربة الخالية من الأهل والأحبة .

.. وإلى جانب هذه الصلة الجمالية النفسية من خلال معادلة : « البقرة / المرأة» ، حيث تكون البقرة الوحشية رمزا للمرأة الغائبة عن الطلل ، وجدنا جانباً آخر للصلة الجمالية النفسية ، من خلال إعجاب الشاعر «بناقته» وتشبيهها بالبقرة الوحشية استكمالا لربط الناقة بمظر جمالي نفسي ممتع للشاعر من خلال معادلة : «الناقة / البقرة الوحشية» ، وهذا نلمسه عند : «طرفة بن العبد » ، « لبيد بن ربيعة العامري » .

.. غير أن ارتباط الصلة النفسية الجمالية من خلال معادلة : « البقرة / المرأة » كان أوضح وأعمق من معادلة : « البقرة / الناقة »، نظراً للتوافق الجمالي الرامز بين البقرة الوحشية والمرأة ، لكون البقرة الوجشية

(١) شرح ديوان : لبيد بن ربيعة العامري : حققه وقدم له : د. احسان عباس . ص ٢٩٩ .

رامزاً حياً للجمال ، ونجد تأكيد هذا في تشبيه النساء ببقر الوحش للعلاقة - الجمالية بين : « البقرة الوحشية » ، والمرأة - في هذا المجال ، حين يقول :

زجلاً كأن نعاجا توضح فوقها
وظباء وجرة عطفا أرآمها . [1]

* * * * *

رابعاً - الثور الوحشي : صلة نفسية رامز للصراع النفسي لعوامل : «الموت / الحياة» :

.. والثور : «هو ذكر من البقر » [2]

« وسمي الثور ثوراً لأنه يثير الأرض ، كما سميت البقرة بقرة لأنها تبقرها »[3] .

.. والثور قائد للبقر : «ولما كان الثور أمير البقر، وهي تطيعه كطاعة إناث النحل لليعسوب»[4] .

---

(١) شرح ديوان : لبيد بن ربيعة العامري : حققه وقدم له : د. احسان عباس : ص ٣٠٠ .
العين : البقر : سميت بذلك لكبر عيونها . ساكنة : مطمئنة . أطلائها : أولادها .
عوذا : حديثات النتاج . بهامها : أولاد الضأن واستعارة لبقر الوحش .
زجلا : جماعات . توضح ووجرة : اسمان لمكانين . أرءامها : جمع رئم وهو الظبي .
(٢) لسان العرب : المجلد الرابع . ص ١٠٩ .
(٣) حياة الحيوان : للدميري . ج١ . ص ٢٥٦ .
(٤) الحيوان : للجاحظ ج١ . ص ١٩ .

.. ومن قيادة الثور للبقر ، ضربهم للثور إذا امتنعت البقر عن شرب الماء، حتى ترد الماء وتشرب ، وإنما كان ضربهم لثور دون البقر ذلك : «أن البقر إذا امتنعت من شروعها في الماء لا تضرب لأنها ذات لبن ، وإنما يضرب الثور لتفزع هي فتشرب »[1] .

.. «وكانوا إذا أوردوا البقر فلم تشرب، إما لكدر الماء، أو لقلة العطش، ضربوا الثور ليقتحم الماء ، لأن البقر تتبعه كما تتبع الشول الفحل ، وكما تتبع أتن الوحش الحمار وقال في ذلك أنس بن مدرك في قتله سليك بن السلكة :

إني وقتلي سليكا ثم أعقله

كالثور يضرب لما عافت البقر. [2]

.. أما صلة « الثور الوحشي » فهي صلة نفسية رامزة «للصراع النفسي» لعوامل «الموت / الحياة» .

.. والجاحظ يشير إلى تمثيل الثور الوحشي للصراع النفسي لعوامل : الموت / الحياة ، حين يربط قتل الثور بالرثاء ، وعدم قتله بالمديح : «ومن عادة الشعراء إذا كان الشعر مرثية أو موعظة أن تكون الكلاب التي تقتل بقر الوحش ، وإذا كان الشعر مديحاً وقال كأن ناقتي بقرة من صفتها كذا

---

(١) لسان العرب : المجلد الرابع : ص ١٠٩ .

(٢) الحيوان : للجاحظ : ج١ . ص ١٨ .

، أن تكون الكلاب هي المقتولة، وليس على أن ذلك حكاية عن قصة بعينها ، ولكن الثيران ربما جرحت الكلاب وربما قتلتها ، وأما في أكثر ذلك فانها تكون هي المصابة ، والكلاب هي السالمة والظافرة ، وصاحبها الغانم »[1] .

.. ومن مظاهر الصلة النفسية الدالة على الصراع النفسي لعوامل : الموت / الحياة للثور الوحشي ، ما نلمسه عند :

١ - امرئ القيس :

فــــألحـــــقنا بـالهـــــاديات ودونـه
جــــواحـــــرها فـي صــــرة لـم تـزيـل
فـــعـــادى عـــداء بين ثـور ونعـــجـــة
دراكـــاً ولـم ينضح بماء فـــيـــغـسـل .[2]

.. فالفرس الذي صاد «ثورا ونعجة» من البقر الوحشي ، صادهما قبل أن يجهد ويعرق : «والمعنى أنه صاد قبل أن يجهد ويعرق فيكون كأنه قد غسل . »[3] .

.. أو أنه صادهما في طلق ودراك واحد : « صاد هذا الفرس ثوراً

---

(١) الحيوان : للجاحظ : ج٢ ص ٣٠ .
(٢) ديوان امرئ القيس : ص ٢٢ .
الهدايات : المتقدمات . جواحرها : ما تخلف منها . صرة : جماعة .
(٣) ديوان امرئ القيس : ص ٢٢ / الهامش .

ونعجة في طلق واحد ، ودراكا أي مداركة» [1] .

.. وقتل «الثور» هنا رامز نفسي لصراع «الموت / الحياة» وقتله رمز لصراع عوامل «الموت» في الصحراء والقضاء عليها .

.. وعند :

٢ - النابغة الذبياني :

.. نجد أن الثور لم يقتل ولم يمت بل فرق الكلاب وعمل فيها قتلاً ، فحياة الثور هنا دلالة نفسية لانتصار معنى : «الحياة» في الصحراء الموحشة القاتلة المليئة بعتاصر الفناء والموت من حيوانات وغيرها ، يقول النابغة مشيراً إلى ذلك :

من وحش وجرة موشى أكارعه
طاوى المصير ، كسيف الصيقل الفرد . [2]

.. وبعد أن وصف النابغة « الثور » عاد يصف انتصاره على الكلاب والصياد ، وفتكه بتلك الكلاب منتصراً عليها :

شك الفريصة بالمدرى فانفذها
طعن المبيطر إذ يشفي من العضد
كأنه خارجا من جنب صفحته
سفود شرب نسوه عند مفتأد

(١) شرح المعلقات السبع : للزوزني : ص ٤١ / الهامش .
(٢) ديوان : النابغة الذبياني . ص : ١٧ .

فظل يعـــجم أعلى الروق منقـــبــضــا

في حــالك اللون صــدق غـــيــر ذى أود

لما رأى واشق اقــعـــاص صـــاحـــبــه

ولا ســـبـــيـل إلى عـــقـل ولا قـــود

قـــالت له النفس : أني لا أرى طمــعــا

وان مـــولاك لم يسلم ولم يصـــد .[1]

.. وهكذا : تنتهي المعركة بين «الثور» والكلاب ، بانتصار الثور رمزا لانتصار معنى «الحياة» في الصحراء القاتلة ، وبذلك يحقق «الثور» من خلال هذا المنظور النفسي دلالته النفسية في الدلالة على الصراع النفسي لعوامل «الموت / الحياة» .

.. وبمثل ما كان قتل «الثور» عند امرى القيس رامزا نفسيا لقتل «الموت» وعوامله ، بقدر ما كان انتصار «الثور» عند النابغة رامزا نفسيا لانتصار معنى «الحياة» على العوامل الأخرى المهددة لها التي تمثل

---

(١) ديوان : النابغة الذبياني . ص ١١٩ ، ٢٠ .
الفريصة : موضع عقب الفرس . المدرى : القرف . المبيطر : البيطار . العضد : داء ووجع في العضد مثل ثقل حمل أو غيره . كأنه خارجا : أي القرن . سفود شرب نسوه : أي تركوه حتى نضج ما فيه . والمفتأد : موضع اشتوائهم اللحم . فظل يعجم : أي ظل الكلب يمضغ القرن :. الروق : القرن . أود : اعوجاج . واشق : اسم كلب . الاقعاص : القتل . العقل : غرم الدية . المقود : قتل النفس بالنفس . لم يسلم : قتلت كلابه .

«الكلاب» رموزها الواضحة هنا .

.. وهكذا : نرى أن حيوانات : «الناقة» ، «الفرس» ، «البقرة الوحشية» ، «الثور الوحشي» قد ظهرت في شعر شعراء المعلقات العشر بتفاوت ، غير أن تميزا لبعض الشعراء يبرز في هذا المجال ، ففي وصف «الفرس» ورسم علاقته النفسية بالشاعر برز : امرؤ القيس ، وعنترة بن شداد ..

.. وفي وصف «الناقة» ورسم علاقتها النفسية بالشاعر برز : طرفة بن العبد .

.. وفي وصف «البقرة الوحشية» ورسم علاقتها النفسية بالشاعر برز : لبيد بن ربيعة .

.. ليصبح الوضع - ملخصا - كالآتي

* امرؤ القيس + عنترة بن شداد ⟵ وصف الفرس .
* طرفة بن العبد البكري ⟵ وصف الناقة .
* لبيد بن ربيعة العامري ⟵ وصف البقرة الوحشية .



الفصل الثالث

جوانب نفسية للحيوان والطير والحشرات



الفصل الثالث

جوانب نفسية للحيوان والطير والحشرات

.. ومن الجوانب النفسية للحيوان :

أولاً – الناقة :

١ – عند طرفة بن العبد البكري :

* **الناقة الحزينة :**

.. نلمس إشارة طرفة بن العبد البكري إلى الناقة الحزينة في قوله :

إذا رجعت في صوتها خلت صوتها

تجاوب أظآر على ربع رد [(١)]

.. ولا شك أن ربط « الحزن» هنا بترديد الصوت «النائح» وربطه بأصوات (الأظآر) على هالك ، إمعان في تصوير حالة حزنها النفسي ، وإعطاء هذا الحزن معلماً جاداً في الظهور والتميز .

* **الناقة المزهوة :**

.. وهو ما نلمسه عند طرفة – أيضاً – الذي صور حالة نفسية

---

(١) انظر : شرح ديوان : طرفة بن العبد : ص ٢٠ .
وكذلك انظر : شرح المعلقات السبع : للزوزني : ص ٦٩ .

أخرى نقيضة - للناقة - المزهوة ، اقتداراً من طرفة في تصوير خلجات هذا الحيوان المختلفة من .. حزن ، وزهو يقول طرفة مصوراً زهو الناقة النفسي ، من حيث تبخترها في المشي :

فـذالت كـمـا ذالت وليـدة مـجلس
تـرى ربهـا أذيال سـحل ممدد [١]

.. ونرى أن طرفة بن العبد قد صور الناقة في حالتين :

١ - حالة الحزن .

٢ - حالة الزهو .

.. وهما حالتان تعبران عن جوانب نفسية لهذا الحيوان الذي يتصل بطرفة بصلة نفسية ونفعية حين يتصل به في رحلاته وتنقلاته في الصحراء .

* * * * *

٢ - عند عمرو بن كلثوم التغلبي :

*** الناقة الحزينة :**

.. ونجد إشارة إلى الناقة الحزينة في قول عمرو بن كلثوم التغلبي :

فـمـا وجـدت كـوجـدي أم سـقب
أضلتـه فـرجـعت الحنينا [٢]

---

(١) شرح ديوان : طرفة بن العبد : ص ١٩ .

(٢) شرح المعلقات السبع : للزوزني . ص ١٤٤ . الوجد : الحزن . أم سقب : ناقة . السقب : ولدها الذكر .

.. وعنصر «الحزن» يأخذ بعديه : «الإنساني» ، و «الحيواني» في ربط الشاعر لأحزانه الإنسانية بهذه الناقة «الحزينة» التي فقدت ولدها ، ونلاحظ أن ثمة تشابهاً في الملمح الحزني بين ناقة «طرفة بن العبد» وناقة «عمرو بن كلثوم» في ارتباط «الحزن» بحالة «الفقد» للولد .

* * * * * *

٣ - عند عنترة بن شداد العبسي :

* الناقة المزهوة :

.. وحالة الناقة المزهروة نفسياً نجدها في قول عنترة :

خطارة غب السرى زيافة
تطس الأكام بذات خف ميثم [(١)]

.. وحالة الزهو النفسية للناقة هنا تأخذ ملمحاً من «تبختر» هذه الناقة في مشيها مزهوة مختالة ، ونلاحظ - هنا أيضا - توافقا في الملمح النفسي (بالزهو) بين ناقة «طرفة بن العبد» وناقة «عنترة بن شداد» .

.. وقد لاحظنا مما سبق أن «الناقة» قد صورت في بعدين نفسيين :

---

(١) شرح المعلقات السبع : للزوزني . ص ١٦٩ .
وكذلك : شرح ديوان عنترة بن شداد . ص ١٤٦ .
خطارة : تخطر بذنبها ، وإنما تفعل ذلك لنشاطها . غب السرى : بعده . زيافة : سريعة . الوطس : الضرب الشديد . خف ميثم : شديد الوطء .

١ - حالة الحزن النفسي .

٢ - حالة الزهو النفسي .

عند ثلاثة من شعراء المعلقات .. وأن حالتي الحزن والزهو مرتبطة بحياة الناقة ، وبأمومتها ، وبحالة الشعراء الذين وصفوها حيث ربطوا «حزنهم» بحزن الناقة لارتباطها النفسي والنفعي بهم، وبحياتهم وتنقلاتهم .

* * * * * *

ثانياً - الفرس :

١ - عند امرئ القيس :

*** الفرس المرح النشط :**

.. وحالة المرح النفسي المرتبطة بالنشاط والعدو نلمسها عند امرئ القيس في قوله يصف فرسه :

يزل الغلام الخف عن صهواته
ويلوي بأثواب العنيف المثقل . [(١)]

.. ومصدر «المرح» النفسي لهذا الفرس شدة عدوه ، يشير الزوزني

---

(١) ديوان : امرئ القيس : ص ٢٠ .
وكذلك : شرح المعلقات السبع : للزوزني . ص ٣٥ .
الخف : الخفيف . الصهوات : جمع صهوة وهي موضع اللبد من ظهره .
العنيف : الأخرق . المثقل : الثقل : الذي لا يحسن الركوب .

إلى ناحية المرح في البيت فيقول : «إن هذا الفرس يزل ويزلق الغلام الخفيف عن مقعده من ظهره ويرمي بثياب الرجل العنيف الثقيل يريد أنه يزلق عن ظهره من لم يكن جيد الفروسية عالما بها ويرمي بأثواب الماهر الحاذق في الفروسية لشدة عدوه وفرط مرحه في جريه» [(١)] .

* * * * * *

٢ - عند عنترة بن شداد العبسي :

* **«الفرس الباكي / الحزين نفسياً» :**

.. وملمح الفارس الباكي نفسياً نلمسه في وصف عنترة بن شداد له :

فـــــازور مـن وقـع الـقـنـا بـلـبـــــانـه
وشكـى إلـيّ بعـــــبـــــرة وتحــــمــــحـم

لـو كـــان يدري مـــا المحـــاورة اشـــتكى
ولـكـان لـو عـلـم الـكـلام مـكـلـمـي . [(٢)]

.. والملمح النفسي الباكي الحزين للفرس مرتبط بحالة «الوهن النفسي» من جراء شدة المعارك وهول الحروب التي يخوضها ويشهدها ، ومرتبط بالحالة النفسية الحزينة للشاعر .

---

(١) المصدر السابق : ص ٣٦ / الهامش .
(٢) شرح ديوان عنترة بن شداد . ص : ١٥٣ .

.. وملمح آخر : (للفرس الغاضب الواهن نفسياً) ، نلمسه في إشارة عنترة إلى «الخيل العوابس» في قوله : عن (الفرس الغاضب / الواهن نفسيا) :

والخيل تقتحم الخبار عوابسا
ما بين شيظمة وأجرد شيظم .[(١)]

.. و«عبس» الخيول مرتبط نفسياً بوهنها النفسي ، وإرهاقها في خوض الحروب ، والإشارة إلى «الخيوال» العوابس ارتبط عند شعراء العربية بشدة خوضها للمعارك ، يقول بشر بن أبي خازم الأسدي في هذا المعنى ، يصف الخيول :

يخرجن من خلل الغبار عوابسا
خبب السباع بكل أكلف ضيغم [(٢)]

..يشير أحد الباحثين إلى ناحية « الفرس / الباكي» الحزين وارتباطها بالحالة النفسية لعنترة بن شداد فيقول : «ولكن عنترة الفارس المكابر لا يحس هذا الدمع في عينيه بل يراه في عيني الجواد

---

(١) المصدر السابق : ص ١٥٤ .
الخبار : الأرض اللينة ذات الحجارة والركض يشتد فيها . الشيظم : الطويل . الأجرد : القصير الشعر .
(٢) ديوان : بشر بن أبي خازم الأسدي . بتحقيق : الدكتور عزة حسن . ص ١٨١ .
أكلف : ما خالط بياضه سواد . ضيغم : اسم من أسماء الأسد وهو من الضغم وأصله العض .

، وهنا يخلع عليه صفة من أبرز الصفات الإنسانية هي صفة «البكاء» ونحس ما يقوم بينهما من مودة وتراحم ، وترحب نفس عنترة فتسع ذاته وذات جواده ، ويمحي جدار العجمة بينهما أو يكاد »[1] .

.. ونلاحظ مما سبق أن نفسية «الفرس» قد ارتبطت - أيضاً - بنفسية الشاعر القائل ، ففرس «امرئ القيس» المرح ، هو إنعكاس لحياة إمرئ القيس المرحة ، وتصوير لجوانب المرح النفسي في حياة هذا الشاعر .

.. ونفسية «فرس» عنترة بن شداد : الباكي الحزين ، هو إنعكاس لواقع عنترة النفسي الحزين «لحرمانه» من رغبات تتوق نفسه إليها أبرزها : تحقيق شخصيته الاجتماعية .. والخيول العوابس الوهنة نفسياً من شدة وقع الحروب ، تصوير لواقع عنترة النفسي الحربي .. وفهم عنترة «لحمحمة» الفرس جاء من هذا التلازم النفسي بينه وبين الفرس ، يشير الجاحظ إلى فهم البشر للغة الحيوان كالفرس وغيره فيقول : «والأعجم كل ذي صوت لا يفهم إرادته إلا ما كان من جنسه ، ولعمري إنا نفهم عن الفرس والحمار والكلب والسنور والبعير كثيراً من إرادته وحوائجه وقصوده ، كما نفهم إرادة الصبي في مهده ونعلم - وهو من جليل العلم - أن بكاءه يدل على خلاف ما يدل عليه

---

(١) الرحلة في القصيدة الجاهلية : وهب رومية . ص ٣٧١ .

ضحكه ، وحمحمة الفرس عند رؤية المخلاة على خلاف ما يدل عليه حمحمته عند رؤية الحجر» . [1]

* * * * *

ثالثاً - ألبقرة الوحشية :

١ - عند طرفة بن العبد البكري :

* **البقرة المفزوعة :**

.. ونلمس الإشارة إلى البقرة المفزوعة من خلال تشبيه طرفة بن العبد لناقته بتلك البقرة المفزوعة في قوله :

طحوران عوار القذى فتراهما
كمكحولتي مذعورة أم فرقد [2]

فقوله :

* كمكحولتي مذعورة أم فرقد *

إشارة إلى هذه البقرة الوحشية المفزوعة ، وربط البقرة الوحشية المفزوعة بولدها الفرقد تدعيم لعامل «الذعر» والفزع حين يمتزج بالأمومة « والخوف » على الولد .

---

(١) الحيوان : للجاحظ : ج١ ص ٣٢ .
(٢) شرح ديوان : طرفة بن العبد البكري . ص ١٧ .
طحوران : دفوعان . عوار القذى : وسخ العين . المذعورة : بقرة الوحش . وهي المها . الفرقد : ولدها .

٢ - عند لبيد بن ربيعة العامري :

*** البقرة المفزوعة :**

.. صورة أخرى للبقرة المفزوعة نلمسها عند لبيد بن ربيعة العامري في قوله يصف فزعها :

أفتلك أم وحشية مسبوعة
خذلت وهادية الصوار قوامها [(١)]

حتى إذا يئست وأسحق حالق
لم يبله أرضاعها وفطامها

وتوجست رز الأنيس فراعها
عن ظهر غيب والأنيس سقامها .[(٢)]

.. يرسم لنا لبيد صورة لفزع هذه البقرة الوحشية التي شبه ناقته بها ، ويعمق من صورة الفزع حين يجعل لها ولدا ، فربط البقرة الوحشية بالولد تدعيم لعامل الفزع النفسي ، يصف أحد الباحثين هذه الناحية عند لبيد فيقول : «وفي كل هذه الأحوال يصور لبيد البقرة خائفة مفزوعة حذرة تخاف الصياد وتخشى أن يباغتها فيرميها على غرة منها» [(٣)].

---

(١) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري : ص ٣٠٧ .
(٢) المصدر السابق : ص ٣١٠ ، ٣١١ .
(٣) لبيد بن ربيعة العامري . الدكتور : يحي الجبوري . ص : ٢٣٢ .
افتلك : الأتان . أم وحشية : ناقته . مسبوعة : أكل السبع ولدها . خدلت : تأخرت عن القطيع . هادية الصوار : طليعة القطيع من البقر وقيل هو الثور وحده . أسحق : أخلق وذهب ما فيه من اللبن . حالق : الضرع الذي كاد يمتلئ . لم يبله : لم يذهب بكل ما فيه من لبن . الرز : الصوت الخفي . الأنيس سقامها : لأنهم يصيدونها فهم داؤها .

* **البقـــرة المســتقرة :**

.. وبمقابل البقرة المفزوعة يصور لنا لبيد أنموذج «البقرة المستقرة نفسياً» في قوله يصفها :

والعين ســـاكنة على أطلائهـــا

عــوذا تأجل بالفضــاء بهــامهــا [(١)]

.. ونلاحظ أن لبيد الذي وصف « فزع البقرة » في الأبيات السابقة ، ثم وصف استقرارها النفسي هنا قد ربط حالتي « الفزع » ، «والاستقرار» النفسيتين «بالولد» فالخوف على الولد ، والحنو على «الولد» في حالتي : «الفزع» ، «والاستقرار» النفسيتين يعمق من بعد «الأمومة» هنا ، وبالتالي يسهم في إبراز حالتي : الفزع ، والاستقرار بصورة أوضح لارتباطها بالأمومة من جهة ، وبعنصر البقاء من جهة أخرى .

* * * * *

(١) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري . ص ٢٩٩ .
العين : البقر سميت بذلك لسعة عيونها . ساكنة : مطمئنة . أطلائها : أولادها .
عوذا : حديثات النتاج . تأجل : تسير أو تتجمع أجلا أي قطيعا قطيعا . البهام : صغار الضأن .

رابعاً – الثور الوحشي :

عن النابغة الذبياني :

*** الثور الوحشي الخائف :**

.. وهو ما نلمسه عند النابغة الذبياني عندما يصف حالة هذا الثور الخائف بقوله :

فـــارتاع من صـــوت كـــلاب فـــبـــات لـه
طوع الشـــوامت مـن خـــوف ومـن صـــرد[1]

.. فالثور الوحشي الذي ارتاع من «الكلاب» وكلابه ، تتعمق حالة خوفه النفسي حين يربطها الشاعر بالطقس المحيط البارد ، وحين يتضافر «الخوف» «والصرد» في تشكيل مناخ خوف لهذا الثور إلى جانب «الكلاّب» وكلابه ، ورغم أن هذا الثور الوحشي ينتصر في النهاية في المعركة :

شك الفـــريصـــة بالمدري فـــأنفـــذها
طعن المبـــيطر إذ يشـــفى من العـــضـــد[2]

.. وانتصار الثور الوحشي انتصار لمعنى : الحياة على الموت ،

(١) ديوان : النابغة الذبياني : ص ١٨ .
كلاب : الصائد صاحب الكلاب . طوع الشوامت : أي بات الثور مبيت سؤ من برد ومن جوع . الصرد : شدة البرد .
(٢) المصدر السابق . ص ١٩ .
الفريصة : موضع عقب الفرس . المدرى : القرن . العضد : داء وجمع في العضد .

وتبديد لعامل «الخوف» المهيمن على الصحراء .

* * * * *

خامساً – النعامـــة :

عند الحارث بن حلزة اليشكري :

*** النعامة المفزوعة :**

.. والنعامة مزيج من الطائر والبعير ، يصفها الجاحظ بقوله : «وفي النعامة أنها لا طائر ولا بعير ،، وفيها من جهة المنسم والوظيف والخرمة ، والشق الذي في أنفه ما للبعير ، وفيها من الريش والجناحين والذنب والمنقار ما للطائر ، وما كان فيها من شكل الطائر أخرجها ونقلها إلى البيض ، وما فيها من شكل البعير لم يخرجها ولم ينقلها إلى الولد وسماها أهل فارس : « اشتر مرغ» كأنهم قالوا : هو طائر وبعير» . [(١)] .

.. والنعامة المفزوعة نلمس تصوير : الحارث بن حلزة اليشكري لها في قوله :

آنت بناة وأفـــزعـــهـــا القـ ـناص عصراً وقد دنا الإمساء [(٢)]

.. والنعامة هنا التي شبه الشاعر ناقته بها ، والتي رسم لحالة

---

(١) الحيوان . للجاحظ .: ج٤ ص ٣٢١ .
(٢) شرح المعلقات السبع : للزوزني . ص ١٨٧ .

فزعها النفسي ، يتسق هذا الفزع وما عرف عن النعامة من خوف :
«كما يقولون : « أشرد من نعامة » [١] .

.. ويقول أوس بن حجر :

وينهى ذوي الأحلام عني حلومهم
وأرفع صوتي للنعام المخزم

يريد خرق أنفه ، وهو في موضع الخرمة من البعير .

.. وأما قوله : «وأرفع صوتي للنعام» فإنما خص بذلك النعام لأنها تجمع الشرود والنفار إلى الموت وسوء الفهم» [٢] .

.. وفي «حياة الحيوان الكبرى : للدميري» : « وقالوا : ركب جناح نعامة : يضرب لمن جد في أمر كانهزام أو غيره» [٣] .

.. وفي لسان العرب : «أجبن من نعامة ، وأعدى من نعامة» [٤] .

.. كل هذه المعاني المتصلة «بجبن» النعامة ، تتسق وحالة «الخوف» النفسي التي رسمها لها الشاعر .

.. أما قوله : « وأفزعها القنص عصرا وقد دنا الإمساء»

.. فإن «الإمساء» هنا يعمق من حالة «الخوف» ، ويضاعف من

---

(١) الحيوان . ج١ ص ١٩٨ .
(٢) المصدر السابق . ج٤ ص ٣٩٥ .
(٣) حياة الحيوان : للدميري : ج٢ ص ٣٦٤ .
(٤) لسان العرب . المجلد الثاني عشر : ص ٥٨٢ .
نبأه : الصوت الخفي يسمعه الإنسان أو يتخيله .

تأثيرها النفسي لدى هذا الحيوان المجبول على الفزع والخوف .

* * * * * *

سادساً - الثعلب :

عند عبيد بن الأبرص :

* **الثعلب الخائف :**

.. وصورة الثعلب يرسمها لنا عبيد بن الأبرص في قوله :

فاشتال وارتاع من حسيس وفعله يفعل المذءوب
فدب من رأيها دبيبا والعين حملاقها مقلوب [(١)]

.. وصورة «الخوف» - حالة نفسية - التي رسمها عبيد بن الأبرص لخوفه من «العقاب» [(٢)] قد تستبطن رمزاً بحياة «عبيد بن الأبرص» نفسه ، فالثعلب معروف بالدهاء : «وقالت العرب : أدهى من الثعلب» [(٣)] .

وقد كان عبيد بن الأبرص :«داهية» : «وما يوحي بدهائه وسعة تجربته حتى سمي من دهاة العرب» [(٤)] .

---

(١) شرح القصائد العشر : للتبريزي . ص ٣٧٣ ، ٣٧٤ .
اشتال : رفع الثعلب ذنبه . حسيس : صوت . المذءوب : المفزوع . رأيها : رويتها .
الحملاق : جفن العين . يقول : انقلب حملاق عينه من خوفها .
(٢) انظر : شرح القصائد العشر : للتبريزي . ص ٣٧٢ - ٣٧٥ .
(٣) الحيوان : للجاحظ . ج٦ . ص ٣١٣ .
(٤) موسوعة الشعر العربي : الشعر الجاهلي : المجلد الثاني ص ٥٦٤ .

.. وقتل عبيد بن الأبرص على يد : المنذر بن ماء السماء [1]، وخوفه وفزعه من ذلك اليوم تجسيد لقتل الثعلب على يد «العقاب» .

.. فالثعلب الخائف من العقاب رمز مصغر لعبيد بن الأبرص الخائف الذي لقي مصيراً قريباً من المصير الذي لقيه الثعلب من العقاب في معلقته ، ولعل التوافق بين «الثعلب» رمزاً ، وبين عبيد بن الأبرص تجسيد المأساة الخوف والموت ، وما يجمع بين الثعلب وبين عبيد في الاشتراك في حالتي «الدهاء» ، «والخوف» ما يعمق من مأساة «الخوف / الموت» عنصراً نفسياً مشتركاً بينهما .

* * * * *

نفسية الطير :

سابعاً – الطيور :

عند امرئ القيس :

* **الطيور المرحة :**

.. ونجد الإشارة إلى «الطيور المرحة» في قول امرئ القيس :

كأن مكاكي الجواء غدية صبحن سلافا من رحيق مفلفل [2]

---

(١) انظر : الشعر والشعراء لابن قتيبة . ج١ ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .
وكذلك : الأغاني : للأصبهاني . ج٢٢ ص ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ .

(٢) شرح المعلقات السبع : للزوزني : ص ٤٧ .
وكذلك : شرح القصائد العشر : للتبريزي . ص ٧١ .
وكذلك : شرح القصائد المشهورات : لابن النحاس . ص ٤٩ .

.. «والمكاكي : جمع مكاء وهو طائر كثير الصفير»[1] .

يصف التبريزي بيت امرئ القيس السابق ويعلق عليه قائلاً :

«والمراد أن المكاكي لما رأت الخصب والمطر فرحت وصوتت»[2] .

.. والفرح والمرح النفسي الذي رسمه امرؤ القيس للطيور يتسق والطبيعة الجميلة المحيطة التي سعدت بها الطيور وانفعلت وعبرت عن مرحها النفسي بهذا «الصفير» الدال على المرح النفسي والفرح من كائن صغير وضعيف[3] انفعل بجمال الطبيعة فعبر عن فرحه ومرحه النفسي «بالصفير» الدال على المرح النفسي .

.. ويمكن أن تكون طيور «المكاء» رمزاً للضعف الإنساني في الصحراء ، وجعل امروء القيس هذه الطيور تغرد مرحة نفسياً بجمال الطبيعة من حولها في الوقت الذي ماتت فيه السباع رمز القتل والفتك والموت :

---

(١) شرح القصائد العشر : للتبريزي . ص ٧١ .

(٢) المصدر السابق : ص ٧٢ .

(٣) وصف الجاحظ طائر المكاء بقوله : «والمكاء من أصغر الطير وأضعفه» - الحيوان : ج٧ ص ٢٣ .

ووصفه محقق الحيوان بقوله : «المكاء بالضم والتشديد : طائر مثل القنبرة إلا أن في جناحيه بلقاً سمي بذلك لأنه يمكو أي يصفر صفيراً حسناً والمكاء مخفف : الصفير» . المصدر السابق : الجزء نفسه . ص ٢٣ / الهامش .

كأن السباع فيه غرقى عشية

بإرجائه القصوى أنابيش عنصل [1]

.. هذا الموت للسباع الفاتكة ، وإضفاء المرح النفسي على طيور «المكاء» الضعيفة هو إنعاش لمعنى حياة الإنسان ، وجعله يتمتع بالطبيعة الجميلة المحيطة به ، ومن ثم فطيور «المكاء» المرحة هي صورة مصغرة للإنسان الذي انفعل مرحا في غياب عوامل الموت والفتك التي دمرها السيل وهي «السباع» والتي قد تمنعه من الاستمتاع النفسي المرح بما حوله من طبيعة خلابة جميلة .

* * * * *

نفسية الحشرات :

ثامناً – الذباب :

عند عنترة بن شداد العبسي :

* **الذباب المرح :**

.. والملمح النفسي للذباب «المرح» نلمسه في قول عنترة ، يصف هذه الحالة النفسية عند الذباب :

وخلا الذباب بها فليس ببارح

غردا كفعل الشارب المترنم

---

(١) شرح المعلقات السبع : للزوزني . ص ٤٧ .

هزجـــا يـحك ذراعــــه بذراعــــه

قـــدح المكب على الزناد الأجـــذم [1]

.. والعرب كانت تسمى «طنين الذباب» والبعوض غناء .. يشير الجاحظ إلى هذه الناحية بقوله : « والعرب تسمى طنين الذباب والبعوض غناء ، وقال الأخطل في صفة الثور :

فــردا تغنيــه ذباب الرياض كــمـــا

غنى الغــواة بصنج عند أســوار [2]

.. ويشير الجاحظ إلى تحريك الذباب إحدى ذراعيه على الأخرى فيقول :

« وإذا قيل الأعلم ، علم أنه البعير ، كما أنه إذا قيل الأقرح ، علم أنه الذباب ، قال الشاعر :

ولأنت أطيش، حين تغـــدو ســـادرا

حـــذر الطعـــان، من القـــدوح الأقـــرح

يعني الذباب لأنه أقرح ، ولأنه أبدا يحك باحدى ذراعيه على الأخرى كأنه يقدح بعودى مرخ وعفار أو عرجون ، أو غير ذلك مما

---

(١) شرح ديوان : عنترة بن شداد : ص ١٤٥ .

(٢) الحيوان : ج٣ ص ٣١٥ .

يقدح به ».[1]

.. والتشبيه الذي ساقه عنترة بن شداد يعتبر نادرا وبعضهم يسميه «بالتشبيه العقيم»[2] لندرته في الشعر العربي ، يعرض الجاحظ لهذا الجانب فيقول :

جـــادت عليـــهـــا كل عين ثرة
فـــتـــركن كل حـــديقـــة كـــالدرهم

فـــتـــرى الذباب بهـــا يغني وحـــده
هزجـــا كـــفـــعل الشـــارب المتـــرنم

غـــردا يحك ذراعـــــه بذراعـــــه
فـــعل المكب على الزناد الأجـــذم

قـال : يريد فـعل الأقطع المكب على الزناد . والأجـذم : المقطوع اليدين . فيوصف الذباب إذا كان واقعا ثم حك إحدى يديه بالأخرى ، فشبهه عند ذلك برجل مقطوع اليدين ، يقدح بعودين ، ومتى سقط الذباب فهو يفعل ذلك» [3] .

---

(١) المصدر السابق : نفس الجزء . ص ٣١٠ ، ٣١١ . الأجذم : المقطوع اليدين .

(٢) «قال الرشيد :أتعرف ياأصمعي تشبيها أفخر أو أعظم في أحقر مشبه وأصغره في أحسن معرض من قول عنترة :

وخلا الذباب بها فليس ببارح * غردا كفعل الشارب المترنم
هزجا يحك ذراعه بذراعه * فعل المكب على الزناد الأجذم

ثم قال : ياأصمعي هذا من التشبيهات العقم التي لا تنتج .
فقلت : كذلك هو ياأمير المؤمنين .
انظر : أشعار الشعراء الستة الجاهلين للأعلم الشنتمري . ص ١٨٦ .

(٣) الحيوان . ج٣ ص ٣١١ ، ٣١٢ .

.. ثم يعلق الجاحظ على شعر عنترة في هذا المعنى فيقول :

«ولم أسمع في هذا المعنى بشعر أرضاً غير شعر عنترة» . [1]

.. ويعاود الجاحظ الحديث عن بيتي عنترة السابقين، وما فيهما من ندرة، فيقول بعد أن يذكر البيتين : «فلو أن امرأ القيس عرض في هذا المعنى لعنترة لافتضح». [2]

.. وفي موضع آخر يشير الجاحظ إلى نفس المعنى قائلاً : «قالوا : لم يدع الأول للآخر معنى شريفا ولا لفظا بهيا إلا أخذه بيت عنترة :

فترى الذباب بها يغني وحده
هزجا كفعل الشارب المترنم
غردا يسن ذراعه بذراعه
فعل المكب على الزناد الأجذم [3]

.. وفي موطن آخر يشير الجاحظ إلى الناحية نفسها فيقول :«نظرنا في الشعر القديم والمحدث فوجدنا المعاني تقلب، وبعض يأخذ من بعض، وقل معنى من معاني الشعر القديم تفرد بإبداعه شاعر إلا ورأيت من الشعراء من زاحمه فيه، واشتق منه شيئا غير قول عنترة من المتقدمين، يصف ذبابا خلا في دار عبلة، وذلك قوله :

---

(١) الحيوان : ج٣ ص ٣١٢ .

(٢) المصدر السابق ، الجزء نفسه ص ١٢٧ .

(٣) البيان والتبيين : للجاحظ : تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون . ج٣ ص ٣٢٦ .

وخــــلا الـذبـاب بـهـــــا فـلـيـس

غــــردا كـــفــعـل الـشـــارب المتـــرنم

هـزجـــــا يـحك ذراعـــــه بـذراعـــــه

فـــعـل المكب على الزناد الأجـــذم [1]

.. كل هذه الآراء للجاحظ تؤكد «تفرد» معنى عنترة الشعري وتميزه على خارطة الشعر العربي بعامة .

.. أما ما يتصل بالجانب النفسي الذي - نحند بصدد الحديث عنه - فقد نقل عنترة من خلال البيتين السابقين نفسية «الذباب» المرحة .. ولعل ألفاظ : «غردا» ، «هزجا» تعمق من حالة هذا المرح النفسي لهذه الحشرة .

.. ولعل تميز عنترة في هذين البيتين ، وندرة «التشبيه» فيهما لا يقل عنه بأي حال من الأحوال تميز الجانب النفسي فيهما ، وتفرد عنترة بالإشارة انفسية المتميزة إلى جانب المرح عند هذه الحشرة ملمحا نفسياً متميزاً فريداً .

(١) أبو نواس : لابن منظور . ص ٤٣ .

الفصل الرابع

رموز ودلالات نفسية

الفصل الرابع
رموز ودلالات نفسية

أولاً – رموز الفرح والانتصار والحياة :

١ – **الطيور : رمز الفرح (في معلقة امرئ القيس) :**

.. وهذا الرمز «للفرح» الذي تمثله «الطيور» يستبطن معاني : انتصار الحياة ، وهذا ما نلمسه في وقل امرئ القيس :

كأن مكاكي الجواء غدية
صبحن سلافا من حيق مفلفل (١)

.. والطيور المرحة نفسيا هنا رمز فعال للتفاعل الإنساني مع الحياة الجميلة المحيطة ، والتفاعل مع جماليتها ، والتعبير عن ذلك المرح النفسي عن طريق «الصفير» ، وفرح الطيور هنا يتصل بفرح الشاعر النفسي ويعكسه .. يشير أحد الباحثين إلى هذه الناحية بقوله : «على أن الحياة لم تمت مع هذا السيل المدمر بل صدحت مكاكي الجواء بعد أن اغتسلت الطبيعة بهذا السيل، وعادت الحياة مشرقة من جديد، ولا

---

(١) شرح المعلقات السبع : للزوزني . ص ٤٧ .
وكذلك : انظر : شرح القصائد العشر : للتبريزي ص ٧١ .
وكذلك : شرح القصائد المشهورات : لابن النحاس ص ٤٩ .

شك أن هذا هو الإحساس الذي طبع به الشاعر لوحته ، وهو إحساس مستمد من روحة المتفائلة المرحة» [١] .

.. ولا شك أن «الطيور المرحة» هنا رمز فعال لانتصار الحياة على عوامل الموت التي يجسدها غرق «السباع» وموتها :

كأن السباع فيه غرقى عشية
بأرجائه القصوى أنابيش عنصل [٣]

.. حيث «الطيور المرحة» رمز للحياة التي انتصرت بعد انتهاء السيل، وحيث «السباع» رمز لعوامل الموت التي انتهت مع انتهاء السيل .

.. ولا شك أن إشارة الشاعر إلى جانب المرح النفسي عند الطيور يعمق من حالة الانتصار التي تمثلها الطيور .

* * * * *

٢ - الحصان : رمز الأمل واستعادة الثقة بالحياة : (في معلقة امرئ القيس) :

.. بعد معايشة الشاعر لواقع «الخوف النفسي» من جراء :

---

(١) الشعر الجاهلي : مراحله واتجاهاته الفنية : دكتور : سيد حنفي حسنين . ص ٧١ .
(٢) شرح المعلقات السبع : للزوزني . ص ٤٧ .
الأرجاء : النواحي . القصوى : تأنيث الأقصى : الأبعد . الأنابيش : أصول النبت . العنصل : البصل البرئ .

«الليل / الحيوان المخيف » :

وليل كموج البحر أرخى سدوله
عليّ بأنواع الهموم ليبتلي

فقلت له لما تمطى بجوزه
وأردف أعجازاً وناء بكبكب [1]

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي
بصبح وما الإصباح منك بأمثل

فيالك من ليل كأن نجومه
بكل مغار الفتل شدت بيذبل. [2]

.. بعد حالة «الخوف النفسي» التي ولدها : «الليل/ الحيوان المخيف» للشاعر ، والتي من جرائها كاد الشاعر أن يفقد «الأمل» ، «والثقة بالحياة» يجيء وصف : «الحصان» رمزاً «للأمل» «واستعادة نفسية الثقة بالحياة» حيث يكتسب «الحصان» بصلته بالشاعر النفسية الملازمة صفة محقق : «الأمل» ، وباعث الثقة النفسية بالحياة ، ومن هنا يجيء وصف الشاعر للحصان تعبيراً عن هذا الجانب النفسي :

---

(١) الكلكل : الصدر .
(٢) ديوان : امرئ القيس : ص ١٨ ، ١٩ .

وقد اغتدى والطير في وكناتها
بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا
كجلمود صخر حطه السيل من عل
كميت يزل اللبد عن حال متنه
كما زلت الصفواء بالمتنزل
مسح إذا ما السابحات على الونى
أثرن غبارا بالكديد المركل
يطير الغلام الخف عن صهواته
ويلوى بأثواب العنيف المثقل(١)
درير كخذروف الوليد أمره
تقلب كفيه بخيط موصل
له أيطلا ظبي وساقا نعامة
وإرخاء سرحان وتقريب تتفل (٢)

---

(١) الوكنة : موقع الطير . المنرد : قليل الشعر . الأوابد : الوحوش . الهيكل : الفرس العظيم . السابح : الذي يمد يديه في عدوه . الونى : الفتور . الكديد : الأرض الصلبة . المركل : الذي يركل مرة بعد مرة .

(٢) ديوان امرئ القيس : ص : ١٩ - ٢١ .

الخذروف : حصاة مثقوبة يجعل الصبيان فيها خيطا فتدار شبه سرعة هذا الفرس بسرعة دوران الحصاة على رأس صبي . (له ايطلاء ظبي .. الخ) : شبه خاصرتي هذا الفرس بخاصرتي الظبي في الضمير ، وشبه ساقيه بساقي النعامة في الانتصاب والطول ، وعدوه بارخاء الذئب وتقريبه بتقريب ولد الثعلب فجمع أربعة تشبيهات في هذا البيت .

.. والصفات الخارقة الجميلة التي أضفاها الشاعر على هذا الحصان ، وكأنه يتأمل جوانب التفوق فيه في لحظات تأمل رائقة هادئة نفسياً ، تعكس إلى أي حد وفر الحصان للشاعر مناخاً نفسياً يعبق برائحة «الأمل» ، ويشع ببريق الثقة النفسية بالحياة، بحيث يصبح «الحصان» والحالة هذه معادلا نفسياً رائعاً لحالة «الخوف» النفسي التي تسبب فيها : «الليل / الحيوان المخيف» ليأتي الحصان هنا ويعيد حالة «الاتزان النفسي» للشاعر من خلال قيامه رمزا «للأمل» واستعادة الثقة بالحياة التي نعم بها الشاعر نفسياً ، وحقق بها اتزانه النفسي المطلوب .

.. ونلمح أن الشاعر من خلال وصف «الحصان» الغريب من خلال تشبيهه بحيوانات مختلفة من خلال البيت :

له أيطلا ظبي وسـاقـا نعـامـة
وإرخـاء سـرحـان وتغـريب تتـفل

.. فجمع لهذا الحصان من خلال أربعة تشبيهات بأربعة حيوانات مختلفة من بيئة الشاعر وهي : «الظبي ، والنعامة ، والذئب ، والثعلب» .. ومن خلال هذا الوصف الخارق الغريب لهذا الحصان الذي يقرب من الوضع «السريالي» بحيث لو أن رساما رسم هذا الحصان فسيظهره بشكل غريب من خلال وصف البيت يقرب من الوضع الفني السريالي .

.. ومن خلال هذا الوصف الغريب للحصان نلمس رغبة امرئ القيس النفسية في الإعلاء من شأن هذا الحصان وجعله يتفوق على «الحيوانات» المحيطة به وبالشاعر ، ومن هذه الزاوية لمسنا «تغييب» الشاعر لهذه الحيوانات في الحصان والميل إلى «تذويب» صفاتها وأشكالها في شكل الحصان تعطيلا لهذه الصفات لها والأشكال، وإعلاءً من شأن هذا الحصان بما يكفل تفوقه عليها ، وبالتالي تحقيقه لرمز الأمل واستعادة الثقة بالحياة لدى الشاعر .

* * * * * *

٣ - الفرس - رمز المرح والانتصار : (من معلقة لبيد بن ربيعة العامري) :

.. يمكن تلمس وصف لبيد للفرس : رمز المرح والانتصار من خلال قوله في وصفها :

أَسْهَلْتُ وانتصبت كجذع منيفة
جرداء يحصر دونها جرّامها [1]

رقّعتها طرد النعام وشلة
حتى إذا سخنت وخف عظامها

(١) اسهلت : نزلت من مرقبتي . منيفة : نخلة عالية : جرداء : انحرد عنها السعف . يحصر : يكل . جرامها : قطاعها .

ترقى وتطعن في العنان وتنتحي

ورد الحمامة إذ أجد حمامها [1]

.. وهكذا يصبح الفرس : رمزا للمرح والانتصار والنشاط النفسي عند لبيد ، وقد يكون الفرس هنا رمزا للتعويض النفسي للشاعر من خلال تجسيده لعامل المرح والنشاط النفسي الموحي بالانتصار، وفي هذا تعويض للشاعر من الناحية النفسية مما يقوي أمله وحلمه في التشبث بالحياة بعد الإحساس الذي سبق وصف الفرس في الاحساس «بقفر» الديار[2] وخلوها من الأهل والأحبة مما ولد إحساساً بالحزن » والوحدة والضياع النفسي لدى الشاعر ليأتي وصف الفرس هنا تعويضاً نفسياً عن أحاسيس الحزن والوحدة والضياع النفسي بأحاسيس جميلة منوطة بالأمل والنشاط النفسي والإحساس بالانتصار على عوامل «قفر» الديار .

.. وإن كنا نلاحظ أن فرس لبيد هنا يختلف عن «حصان» أو فرس امرئ القيس، كفرس لبيد محقق - ولا شك - لعامل الأمل والنشاط

---

(١) شرح المعلقات السبع : للزوزني . ص ١٣٢ ، ١٣٣ .
وكذلك انظر : شرح القصائد المشهورات : لابن النحاس ، ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

(٢) انظر شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري : ص ٢٩٧ - ٣٠٠ .
رفعتها : طردتها وحثثتها . طرد النعام : عدو النعام . وشلة الشل : السوق . سخنت : حميت . حف عظامها : أسرعت . ترقى : ترفع رأسها . تطعن في العنان : تعتمد فيه وغده وتبسط في السير . تنتحي : تقصد . الحمامة : القطاة . أجد حمامها : جد في الطيران إلى المورد .

النفسي والانتصار ، غير أنه فرس عادي إذا قيس بفرس أو «حصان» امرئ القيس الذي اكتسب صفات خارقة جمالية ونفسية جعلته يتميز على مستوى الشعر العربي في وصف «الفرس» أو الخيل وجعلته من قبل ذلك وبعده يحقق ما أراده الشاعر من وصفه له عامل الأمل واستعادة الثقة بالحياة عاملا نفسيا بارزا .

* * * * *

٤ - البقرة الوحشية :رمز انتصار الحياة على الموت : (في معلقة لبيد بن ربيعة العامري) :

.. يقول لبيد بن ربيعة العامري في وصف البقرة الوحشية :

حتى إذا يئس الرماة وأرسلوا
غضفا دواجن قافلا أعصامها

فلحقن واعتكرت لها مدرية
كالسمهرية حدها وتمامها

لتذودهن وأيقنت أن لم تذد
أن قد أحم من الحتوف حمامها

فتقصدت منها كساب فضرجت
بدم وغودر في المكر سخامها (١)

---

(١) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري . ص ٣١١ ، ٣١٢ .
غضفا : مستلقية الأذن . دواجن : المعودة للصيد . قافلا : يابسا . اعصامها : قلائدها . اعتكرت : كرت . المدرية : الحربة وهي هنا قرونها . السمهرية : الرماح . تقصدت : قصدت . كساب : اسم كلبة . سخام : اسم كلب .

.. وانتصار «البقرة الوحشية» على «الكلاب » هو انتصار لعوامل الحياة على عوامل الموت، وفي بيئة صحراوية قاتلة ، فإذا كانت «البقرة الوحشية» ترمز إلى انتصار عامل «الحياة» فان «الكلاب» تعد رمزا للموت الذي كان يتهدد البقرة الوحشية ، التي ربما استبطنت رمزا عميقا من خلال أمومتها وعناصر الجمالية بها ، حيث تقترب بذلك من الواقع الإنساني بمعنى أنها تجسد واقع الإنسان للصفات المشتركة بينها وبينه ، وبالتالي تصبح البقرة الوحشية من هذه الزاوية رمزا للإنسان الخائف المحاط بعوامل التهديد .

.. يشير أحد الباحثين إلى صورة «انتصار» البقرة الوحشية في معركتها مع الكلاب فيقول : «وإذا الأم الملتاعة صيد يطلبه القناص الذي يخوض كلابه الضارية المجموعة ، فتتغلب غريزة الدفاع عن النفس على غريزة الأمومة فتندفع البقرة هاربة لا تلوى على شيء، وقد ملكها الألم والرعب، تسلم نفسها لقوائمها النحاف حتى أيأست الرماة وفاتت النبل ، وإذا الكلاب تكاد تعقرها ، فلا تجد مفراً من الصراع ، فتعطف على الكلاب بقرنيها طعنا ومشقا في نحورها وجواشفها وتتركها صرعى أو جرحى وتخرج من المعركة ظافرة » (١) .

.. ولا شك أن البقرة الوحشية تستبطن معنى الأمومة ، وبالتالي فهي تعبر في رمز حي عن الواقع الإنساني في الصحراء المليئة بعوامل

(١) الإبل في الشعر الجاهلي : للدكتور أنور عليان أبو سويلم . ج١ ص ١٧٨ .

التهديد والموت ، وبالتالي فان انتصارها هنا هو انتصار للإنسان على عوامل موته وقتله .

* * * * * *

٥ - الثور الوحشي : رمز انتصار الحياة على الموت : (في معلقة النابغة الذبياني) :

.. ونلمس صوة « الثور الوحشي » رمز انتصار الحياة على الموت في قول النابغة الذبياني :

شك الفـــريصـــة بالمدرى فـــانفـــذها
طعن المبـــيطر إذ يشـــفى من العـــضـــد

كـــأنه خـــارجـــا من جنب صـــفـــحـــتـــه
ســـفـــود شـــرب نســـوه عند مـــفـــتـــأد

فظل يعـــجم ألى الروق منقـــبـــضـــا
في حـــالك اللون صـــدق غـــيـــر ذى أود

لما رأى واشق اقـــعـــاص صـــاحـــبـــه
ولا ســـبـــيـــل إلـى عـــقل ولا قـــود

قـــالت له النفس : اني لا أرى طمـــعـــا
وان مـــولاك لم يسلم ولم يصـــد . (١)

١٠) ديوان : النابغة الذبياني . ص ١٩ - ٢٠ .

.. فالثور الوحشي ينتصر على «الكلاب» هنا .. وانتصار الثور الوحشي رمز لانتصار الحياة - التي يمثلها الثور الوحشي هنا على عوامل «الموت» التي تمثلها «الكلاب» هنا .

وقد أشار أحد الباحثين إلى إهتمام النابغة بهذا الموقف .. «موقف» انتصار الثور الوحشي على الكلاب : «ولقد دفعه هذا الاستطراد الطويل إلى أن يقص علينا قصة مليئة بالحياة فقرن الثور الخارج من كتف الكلب ملونا بالدماء هي صورة السفود الذي نسيه القوم في موضع النار فالتهب واحمر» (١) .

.. ويضيف الباحث : « وهذه من غير شك دليل على أهمية الموقف عند الشاعر ورغبته في الوقوف وإبراز الصورة في أدق جزئياتها » (٢) .

.. ولا شك أن الموقف الفني الذي أخذ اهتمام النابغة، ورأينا حرصه على تصويره بدقائقه إنما كان يشكل في أعماقه رمزا للموقف الإنساني بعامة ، حيث رسم لنا الشاعر انتصار الحياة على الموت من خلال انتصار الثور الوحشي على الكلاب وهو موقف إنساني - ولا شك - أنه يشغل النابغة الذبياني ويستحوذ على إهتمامه الإنساني

---

(١) النابغة الذبياني : مع دراسة للقصيدة العربية في الجاهلية : د. محمد زكي العشماوي ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٢) المرجع السابق : ص ٢٠٧ .

اظر في معاني كلمات أبيات النابغة الذبياني ص : ٨٢ الهامش من هذا الكتاب .

والشعري لأنه يمثل جزءاً من حياة يعيشها في الصحراء ، ويشعر فيها بالأخطار التي تتهدده بالموت ، ولا شك أن الثور الوحشي برمزه الدال على انتصار الحياة على عوامل الموت إنما ينبثق في هذا الرمز من خلال صلة الإنسان النفسية به وتعاطفه مع هذا الحيوان الوحشي الجميل ، إضافة إلى انتصار الثور الوحشي على «الكلاب» يمثل الانتصار الذي يتوق له النابغة على حساده وأعدائه في اعتذاره للنعمان بن المنذر .

* * * * *

ثانياً - رموز الخوف والنهاية والموت :

١ - «الليل / الحيوان المخيف» رمز الخوف : (في معلقة امرئ القيس) :

.. يأخذ الليل شكل « الحيوان المخيف» في وصف امرئ القيس له بقوله :

وليل كموج البحر أرخى سدوله
عليَّ بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بجوزه
وأردف أعجازاً وناء بكلكلِ
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي
بصبح وما الإصباح فيك بأمثل

فـــيـــالك من ليـل كـــأن نجـــومـــه

بكل مـغـار الفـتل شـدت بيـذبل . [1]

.. ويشكل « الليل / الحيوان المخيف » عامل الخوف للشاعر ، « والليل / الحيوان المخيف » يأخذ تشكله على شكل حيوان مخيف من خلال بيئة الشاعر الصحراوية المليئة بعوامل الخوف المنذرة بالموت ، والحيوان الذي يشكله «الليل» عند امرئ القيس ، حيوان مخيف غريب الصفات يجسد هاجس «الخوف» العميق الذي يسكن أعماق الشاعر ، يتحدث أحد الباحثين عن هذا الجانب عند امرئ القيس فيقول : « فالليل توهم للشاعر كأنه جمل هائل يتمطى صلبه وينحني عليه ، كأنه يسحقه سحقاً . وامرئ القيس بذلك يتطور في إظهار وطأة الليل ، فبعد أن كان يحيط به من كل جانب ، أصبح الآن ينحني عليه ويتولاه بشعور الانسحاق والاختناق» . [2]

.. وهكذا تبدو الدلالة النفسية في تأثير : «الليل / الحيوان المخيف» من الحالة النفسية الممتلئة بالخوف ، والضيق النفسي القاتل ، الذي يوشك أن يصيب الشاعر بحالة «اختناق» نفسي واضحة .

.. والليل وهو يأخذ شكل «الحوان المخيف» الغريب ، صورة نادرة في المعلقات العربية ، كما أن الأثر النفسي لهذا «الليل / الحيوان

---

(١) ديوان : امرئ القيس . ص ١٨ ، ١٩ .

(٢) فن الوصف وتطوره في الشعر العربي : لإيليا حاوي . ص ٦٠، ٦١ .

المخيف » من نشر مناخ «الخوف» والضيق النفسي حول الشاعر هو - أيضاً - حالة شعرية نفسية نادرة في المعلقات العربية .

* * * * *

٢ - السباع - رمز الموت والتعدي : (في معلقة امرئ القيس) :

.. والسباع في معلقة امرئ القيس تأخذ هذا البعد النفسي الدال على الموت والرامز إلى التعدي والقتل .

.. « والسبع : يقع على ما له ناب من السباع ويعدو على الناس والدواب فيفرسها مثل : الأسد والذئب والنمر والفهد وما أشبهها »[١] .

.. « والسبع : بضم الباء وإسكانها : الحيوان المفترس والجمع أسبع وسباع ، وأرض مسبعة : أي كثيرة السباع» .[٢] .

.. وقد رسم امرؤ القيس لموت السباع في معلقته ، وغرقها في السيل حين قال :

كـان السـبـاع فـيـه غـرقى عـشـيـة
بأرجـائـه القـصـوى أنابيش عنصل. [٣]

.. وإغراق السباع في السيل ومن ثم قتلها يمثل قتلا لعامل «الموت» ، فالسباع بتهديدها للناس والإنسان تثير الخوف ، وبالتالي

---

(١) لسان العرب : المجلد الثامن . ص : ١٤٧ .
(٢) حياة الحيوان : للدميري . ج١ ، ص : ٥٤٣ .
(٣) شرح المعلقات السبع : للزوزني . ص : ٤٧ .

تصبح رمزاً «للموت» ، و «التعدي» ، وقتل امرئ القيس لها بغرقها في السيل يمثل قتلاً لرمز «الموت» و «التعدي» ، وبالتالي انتصار للحياة الذي يمثل «السيل» هنا رمزها الواضح .

.. وامرؤ القيس لم يكتف بقتل «السباع» رمزا «للموت والتعدي» بل يسهم في إزالة معالمها إمعاناً في إبعادها وتغييبها عن الحياة ، وإزالة ملامح هذه السباع تعد إمعانا من الشاعر في القضاء على هذه «السباع» وإزالة كل ما يتصل بها ، ولعل إزالته لملامحها ومعالمها تريح ناظريه من رؤيتها «المخيفة» .

* بأرجائه القصوى انابيش عنصل *

.. وهكذا تصبح السباع وهي ملطخة بالطين شبيهة بالبصل البري ، ولعل الشاعر وهو يقتل السباع - رمز الموت والتعدي - ويسهم في إزالة معالمها وملامحها بتلطيخها بالطين ، كل ذلك يسهم في توفير راحة نفسية له من رؤيتها وأثرها المفزع في نفسه .

* * * * *

٣ - « الناقة / الحرب » رمز الموت والنهاية : (في معلقة زهير بن أبي سلمى) :

.. « والناقة / الحرب » رمز الموت والنهاية ، نلمسها في قول زهير :

فتعرككم عرك الرحى بثقالها
وتلقح كشافا ثم تحمل فتتئم

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم
كأحمر عاد و ثم ترضع ، فتفطم. (١)

.. وصورة : «الحرب / الناقة» تكررت عند بعض الشعراء ومن أبرز من وردت عنده : الشاعر العباسي : مسلم بن الوليد الأنصاري حيث شبه «الحرب بناقة» في قوله - يمدح يزيد بن مزيد الشيباني :

لا يلقح الحرب إلا ريث ينتجها
من هالك وأسير غير مختتل. (٣)

.. ونلاحظ أن « الحرب / الناقة » عند زهير بن أبي سلمى قد أخذت هذا البعد الإنساني من خلال العلاقة «بالمرأة» :

« ثم ترضع فتفطم » ، يشير الأعلم الشنتمري لهذه الناحية فيقول:

« وقوله : فتفطم أي : يتم أمر الحرب ، لأن المرأة إذا أرضعت ثم فطمت فقد تمت » . (٣)

.. دلالة الموت والنهاية تبرز من خلال هذه «الناقة» التي سرعان ما تلد «الشؤم» والموت ، حتى تعود مرة أخرى إلى الولادة بعد الفطام، وهكذا دواليك إسهاماً في مضاعفة «الموت» السريع والجماعي الكثير، ولعل الصورة الغريبة لهذه الناقة «الولود» والتي تسهم عملية ولادتها في تكثير عامل الموت وتجسد النهاية على أوسع

---

(١) شعر : زهير بن أبي سلمى : صنعة الأعلم الشنتمري . ص ١٩ .
(٢) شرح ديوان مسلم بن الوليد الأنصاري - تحقيق د./ سامي الدهان ص ١٠ .
(٣) شعر : زهير بن أبي سلمى : صنعة الأعلم الشنتمري . ص ٢٠ .

مساحة ، تكتسب صفة الخطر من خلال تأثيرها على الإنسان المتأثر بآثارها القاتلة له ، ولعل إشارة زهير إلى «المرأة» طرفا في معادلة : «الناقة / الحرب / المرأة» يستشف منه نظرة زهير الإنسانية بالتخفيف وإيقاف هذه الحرب المدمرة التي تقضي على الإنسان وأبرز صور الإنسان «المرأة» .. أرق صور الإنسانية ، وحاملة الإنسان ، ووالدته ، ومحيية الأرض بالنسل الإنساني الذي ستقضي عليه الحرب .. فإشارة زهير إلى «المرأة» هي إشارة إلى جوانب «الدعة» والسلام ، ومصدر الحنان الإنساني ، والتناسل البشري ، الذي ينبغي أن تعمر به الأرض في سلام ودعة بعيداً عن جوانب الحرب .

.. تشير باحثة إلى تصوير زهير لبشاعة الحرب في صورة «الناقة» فتقول : « فيصف الحرب في صور سريعة لأنه مشغول بالتنفير منها والترغيب في السلم فيجب أن تتعدد الصور وأن تكون بشعة مخيفة . فالحرب التي تلتهم كل ما حولها وهي كالرحى الطاحنة ولم ينس أن يذكر ثفالها ، ثم هي لا تنتج إلا الدمار والهلاك اللذين لا حد لهما ، كالناقة الولود ، وقد أراد أن يبين كثرة نتاجها فذكر أنها تتئم ، وهؤلاء شؤم على أهليهم » [(١)] .

.. ولا شك أن ربط زهير «الناقة» « بالحرب » إنما يأتي لأن

---

(١) الفكرة والصورة في شعر زهير بن أبي سلمى : تأليف : فتحية محمود فرج العقدة . ص : ١٨٠ .

«الناقة» تمثل جزءاً من «الإبل» التي كانت تشكل أهمية بالغة عند العرب ، فعن طريق الإبل طالما غزوا ، وطالما نشبت بينهم حروب بسبب «الإبل» ، وطالما خاضوا معارك من أجل استرداد « إبل» .

.. وحتى ديات الصلح في حرب «داحس والغبراء» بين عبس وذبيان والتي تمحورت حولها معلقة زهير ، والتي أشار إليها هنا واصفا الحرب بالناقة .. كانت ديات الصالح في هذه الحرب وسبب إنهائها صلحاً «من الإبل» : « فكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين » . (١)

.. « وحمل الحارث وهرم الديات فكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين » (٢) .

..ومن هنا فتصوير زهير : «للحرب / الناقة» يجيء متصلاً بهذا الجانب للإبل في حياة العرب، وعلاقتها الوثيقة في هذه الحرب .

.. يشير ابن النحاس لى تشبيه زهير للحرب بالناقة وعلاقته بطول الحرب فيقول : «وقيل : إنما شبه الحرب بالناقة إذا حملت، ثم أرضعت ثم فطمت ، لأن أمر هذه الحرب يطول وهو أشبه بالمعنى «وتتئم» تأتي بتوأمين الذكر توم والأنثى تؤمة» (٣) .

---

(١) الأغاني . ج ١٠ ، ص ٢٩٧ .
(٢) أشعار الشعراء الستة الجاهليين : للأعلم الشنتمري ، ث ٢٧٨ / الهامش
(٣) شرح القصائد المشهورات : لابن النحاس : ج١ ، ص ١١٤ .

.. ولا شك أن موضوع «الحرب» كان يؤرق زهيرا نفسيا فلهذا استحوذ موضوعها على الجانب البارز من معلقته ، بل إن محور المعلقة هو موضوع «الحرب» ، وقد كان زهير يريد لهذه الحرب أن تنتهي وأن يعم السلام لأنه رجل سلام في الأصل ، ويريد لهذا السلام أن ينتشر ويعم وينعم به الإنسان .

* * * * *

٤ - الظعائن : الإحساس باللوعة والفقد والخوف من المجهول : (في أكثر من معلقة) :

.. «الظعينة : الجمل يظعن عليه . والظعينة : الهودج تكون في المرأة . وقيل : هو الهودج كانت فيه أو لم تكن . والظعينة : المرأة في الهودج ، سميت به على حد تسمية الشيء باسم الشيء لقربه منه ، وقيل : سميت المرأة ظعينة لأنها تظعن مع زوجها ، وتقيم بإقامته كالجليسة ولا تسمى ظعينة إلا وهي في هودج ، وعن ابن السكيت : كل امرأة ظعينة في هودج أو غيره ، والجمع ظعائن وظعن وأظعان وظعنات - والأخيرتان جمع الجمع» [(١)] .

.. وقد صور شعراء المعلقات «الظعائن» ورسموا من خلال تصوير هذه الظعائن إحساساً عميقاً «باللوعة» والفقد ، والخوف من المجهول . نلمس ذلك في قول زهير بن أبي سلمى :

---

(١) لسان العرب : المجلد الثالث عشر . ص : ٢٧١ .

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن
تحملن بالعلياء من فوق جرثم

علون بأنماط عتاق وكلة
وراد حواشيها ، مشاكهة الدم

وفيهن ملهى للصديق ومنظر
أنيق لعين الناظر المتوسم

بكرن بكورا واستحرن بسحرة
فهن لوادي الرس كاليد للفم

جعلن القنان عن يمين وحزنه
ومن القنان من محل ومحرم

ظهرن من السوبان ثم جزعنه
على كل قيني قشيب مفأم

كأن فتات العهن في كل منزل
نزلن به حب الفنا لم يحطم

فلما وردن الماء زرقا جمامه
وضعن عصى الحاضر المتخيم.(١)

.. وزهير وهو يصور رحلة الظعائن إنما كان يرسم في نفس الوقت لأحاسيس اللوعة والفقد والشعور بالخوف من المجهول نظراً لرحيل هذه

(١) شعر زهير بن أبي سلمى : صنعة : الأعلم الشنتمري ، ص ١١ - ١٣ .
انظر في معاني أبيات زهير بن أبي سلمى - انظر ص ٢١ / الهامش من هذا الكتاب .

الظعائن، ويتضاعف الإحساس : بالوعة والفقد والخوف من المجهول في وقت عظيم فيه إحساس الشاعر بأهوال «الحرب» المحيطة به وما نتج من أهوال نفسية : من خوف وفزع ليأتي الإحساس بالفقد واللوعة نتيجة رحيل الظعائن مضاعفا للإحساس « بالخوف من المجهول » ، وفي الوقت الذي تصبح فيه «الَظعائن» بديلا نفسياً معوضاً عن عدم الاستقرار النفسي الذي أشاعه عامل «الحرب» المحيط ، بما تنشره هذه «الظعائن» من إحساس بالأمن والستقرار النفسي :

وفـــيـــهن ملهى للصـــديق ومنظر
أنـيـق لـعـين الـنـاظر المتـــــوسم .

.. في هذا الوقت .. ترحل الظعائن .. ويصبح رحيلها مفجراً للإحساس باللوعة والفقد والإحساس بالخوف من المجهول ، فيتضاعف هذا الإحساس مع الإحساس المريع «بالخوف» الذي نشرته «الحرب» في الأفق وملأت به أعماق الشاعر، ليصبح الإحساس بالخوف وما يصاحبه من إحساس باللوعة والفقد شعوراً مسيطراً على الشاعر .

.. ونجد هذا الإحساس باللوعة والفقد والخوف من المجهول عند «لبيد بن ربيعة العامري» حيث يصف رحيل الظعن والظعائن بقوله :

شـــاقـــتك ظعن الحي حين تحـــملوا
فـــتكنســـوا قطنا تصـــر خـــيـــامـــهـــا
من كل مـــحـــفـــوف يظل عـــصـــيـــة
زوج عليـــه كلة وقـــرامـــهـــا
زجـــلا كـــأن نعـــاج توضح فـــوقـــهـــا
وظبـــاء وجـــرة عطفـــا أراءامـــهـــا(١)

---

(١) وتكنسوا : دخلوا في الكناس وهو هنا الهودج . قطنا : ثياب القطن . تصر : تحدث صريرا لجدتها . المحفوف : الهودج الذي ستر بالثياب . عصى الهودج : خشبة . زوج : نمط من الثياب . الكلة : الستر الرقيق . القرام : الغطاء . زجلا : جماعات . توضح ووجرة : مكانان

حــفــزت وزايلهــا الســراب كــأنهــا
أجــزاع بيــشــة أثلهــا ورضــامــهــا

بـل مــــا تذكـــر من نـور وقـــد نأت
وتـقـطعـت أسـبــابـهــا ورمــامــهــا.[1]

.. والأثر النفسي الذي تركه رحيل هذه الظعائن يشبه نفس الأثر النفسي الذي تركه رحيل ظعائن «زهير بن أبي سلمى» فظعائن «لبيد» لهن هذا «الملمح الجمالي» :

زجل كــأن نعــاج توضح فــوقــهــا
وظبــاء وجــرة عطفــا أراءامــهــا

.. وهذا «آلملمح الجمالي» كان يوفر للبيد الاستقرار والأمن النفسي - كما هو الحال عند زهير - لكن الرحيل جعل من «الظعائن» عامل لوعة نفسي وإحساس بالفقد والخوف من المجهول خصوصا وأن الرحيل منوط بامرأةبعينها تخص الشاعر : «نوار» مما يعمق من حالة الإحســاس بالفقد واللوعة ويضاعف من الإحساس بالخوف من المجهول :

بـل مــــا تذكـــر من نوار وقـــد نأت
وتـقـطعـت أسـبــابـهــا ورمــامــهــا

(١) شرح ديوان : لبيد بن ربيعة العامري : ص ٣٠٠ ، ٣٠١ .
حفزت : دفعت . زايلها : فارقها . أجزاع : وديان . الأثل : نوع من الشجر . الرضام : الصخور المجتمعة . نوار : اسم امرأة . أسبابها : حبالها . رمامها : الحبال القديمة .

.. ونمضي لنتلمس إحساس إحساس الفقد واللوعة والخوف من المجهول عند شعراء المعلقات ، فنرى «عمرو بن كلثوم التغلبي» يصف رحلة الظعائن بقوله :

قفي قبل التفرق ياظعينا
نخبرك اليقين وتخبرينا

قفي نسألك هل أحدثت صرما
لو شك البين أم خنت الأمينا

بيوم كريهة ضربا وطعنا
أقَرَّ به مواليك العيونا

وإن غدا وإن اليوم رهن
وبعد غد بما لا تعلمينا. [١]

.. ومخاطبة الشاعر «للظعائن»، وتكرار الفعل : «قفي» يعكس الإحساس بالفقد واللوعة لفقد هذه الظعائن كما يضاعف من الإحساس «بالخوف»، ومن جهة أخرى فربط الشاعر لرحيل هذه الظعائن بالقتال والحرب تأكيد لحالة «الفقد» النفسية واللوعة . .. ومعاني اللوعة النفسية قد يكشفها لنا قول «الأعشى» في بيته الشهير :

---

(١) شرح المعلقات السبع : للزوزني . ص : ١٤١ ، ١٤٢ .
- كذلك انظر : معلقة عمرو بن كلثوم بشرح : أبي الحسن بن كيسان : تحقيق : د. إبراهيم البنا ص ٤٧-٤٩.

ودع هـريـرة ان الـركـب مـــــــــرتحـل
وهل تطيق وداعـــا أيهـــا الرجل (١)

.. والبيت تكثيف وتجسيد هائل لمعاني «اللوعة» والفقد النفسي.

.. وعند «عنترة بن شداد العبسي» نلمس معاني «اللوعة» والفقد النفسي في قوله :

كـــيف المزار وقـــد تـربع أهلهـــا
بعنيـــــزتين وأهلنا بالغـــــيلم

إن كنت أزمـــعت الفـــراق فـــإنما
زمت ركـــــابكم بليل مظلم

مـــا راعني إلا حـــمـــولة أهلهـــا
وسط الديار تسف حب الخـــمــخم.(٢)

.. ولعل : «ما راعني » هنا تعمق لنا من حالة «اللوعة» والفقد النفسي الذي يستشعره الشاعر لرحيل الأحبة أو الظعن .

.. وأخيراً .. نلمس ملمحا نفسياً آخر يصور فيه « طرفة بن العبد البكري» رحيل الأحبة في قوله :

كـــأن حـــدوج المالكيـــة غـــدوة
خـــلايا ســـفين بالنواصف من دد

---

(١) انظر ديوان : الأعشى الكبير . ص : ٥٥ .

(٢) انظر : شرح ديوان عنترة بن شداد . ص : ١٤٤ .
الغيلم : موضع . الخمخم : بقلة لها حب أسود . الحدوج : من مراكب النساء . النواصف : مواضع تتسع من الأودية . دد : موضع .

عـــــدوليـــــة أو من ســـــفين ابـن يـامـن

يجــور بهـــا الملاح طورا ويهـــتـــدي[1]

يـشق حــبــاب الماء حـــيــزومـــهـــا بهـــا

كــمـــا قـــسم الـتـــرب المفـــايل باليـــد[2]

.. وربط رحـيل الظعن «بالسـفين» تدعـيم للإحسـاس «بالرحـيل» فدلالة «السفينة» في : - تشبيه مراكب الرحيل «بالسفن» - وتكرار كلمة : «سفين» - مرتين - في الأبيات الثلاثة ، ودلالة «الماء» كل ذلك مؤكدات دلالية على «الرحيل» ، وتعميق «الرحيل» هنا دال على أحاسيس نفسية : باللوعة ، والفقد، كما أن الإحساس «بالخوف من المجهول» يقوي الشعور به ، من خلال الإشارة العميقة إلى : «البحر» الذي تشق السفينة حبابه بحيزومها :

* يشق حباب الماء حيزومها بها *

.. ولعلنا لا نعدم من خلال الإشارة العميقة إلى «البحر» هنا من استشفاف الشعور «بالخوف» فالبحر بالنسبة للشاعر كالصحراء

---

(١) شرح ديوان : طرفة بن العبد . ص : ١٢ .
عدولية : نسبة إلى عدولي ، قرية بالبحرين . وانب يامن : رجل من أهل هجر .
يجور بها : يعدل بها ويميل .

(٢) شرح ديوان طرفة بن العبد . ص ١٢ .
حباب الماء : أمواجه . حيزومها : صدرها . المفايل : الذي يلعب الخيال وهي من ألعاب الأطفال في الجاهلية حيث يجمعون التراب وجعلون فيه خبيئاً ثم يجعلونه شطرين، فمن وقع على الخبيء في أحد الشطرين فقد ربح ومن لم يقع عليه خسر فيقال له : فأل رأيك : يعني أخطأ .

المخيفة ، مخيف ويحمل دلالة خوف نفسية مرعبة ، ومن هذه الزاوية تمازجت الدلالة إلى البحر مع دلالة السفن على الرحيل مع الظعائن لتؤكد هذه الأشياء جميعا الإحساس : «بالخوف من المجهول» إحساسا نفسيا عميقا لدى الشاعر .

.. وهكذا رأينا ملمح «الظعائن» النفسي عند ستة شعراء من شعراء المعلقات العربية ، ورأينا أن هذا الملمح في مجموعه العام يعكس أحاسيس : «اللوعة» والفقد النفسي، «والخوف من المجهول» عند هؤلاء الشعراء، ولاشك أن جو «الصحراء» المحيط بهؤلاء الشعراء والمليء بأشباح «الخوف» ، والتنقل والرحيل المستمر ، وجو «الحروب» العابق بمشاعر «الخوف» كل هذه العوامل ، جعلت من رحيل «الظعائن» ملمحا نفسيا مليئاً باللوعة والفقد النفسي ، والإحساس «بالخوف من المجهول» ، وقد انعكست هذه الأحاسيس على الشعراء ولونت مشاعرهم وأعماقهم النفسية بآثارها النفسية الواضحة .

* * * * * *

٥ - الثور الوحشي : رمز الصراع النفسي بين «الموت / الحياة» : (في المعلقات) :

.. «الثور : الذكر من البقر لأن البقر تتبعه فإذا عاف الماء عافته ، فيضرب ليرد فترد معه ، وقال الجوهري : إن البقر إذا امتنعت عن شروعها في الماء لا تضرب لأنها ذات لبن ، وإنما يضرب الثور لتفزع

هي فتشرب »[1] .

.. ويؤكد الجاحظ هذه الحقيقة : «وكانوا إذا أوردوا البقر فلم تشرب ، إما لكدر الماء أو لقلة العطش ، ضربوا الثور ليقتحم الماء، لأن البقر تتبعه كما تتبع الشول الفحل ، وكما تتبع اتن الوحش الحمار »[2] .

.. وقيادة الثور الوحشي للبقر ، ومقدرته على الصراع تتسق وحالته النفسية : من الكبر ، والخيلاء ،يصفه الجاحظ بقوله : «ومما يوصف بالكبر الثور في حال تشرقه ، وفي حال مشيته الخيلاء في الرياض ، عند غب ديمة . ولذلك قال الكميت :

- كشبوب ذي كبرياء من الوحدة لا يبتغي عليها ظهيرا [3] .

.. وفي شعر المعلقات ارتبط الثور الوحشي بتمثيله لجانب الصراع لعامل «الموت / الحياة» حيث يكون قتله أحياناً على يد الكلاب ، وأحياناً انتصاره على هذه الكلاب وبالتالي حياته ، وقد مال الجاحظ إلى ربط قتل الثور وحياته بغرضين : الرثاء والمديح ، حيث أشار إلى هذه الناحية بقوله : «ومن عادة الشعراء إذا كان الشعر مرثية أو موعظة ، أن تكون الكلاب التي تقتل بقر الوحش، وإذا كان الشعر مديحاً وقال كأن ناقتي بقرة من صفتها كذا أن تكون الكلاب هي المقتولة ، وليس ذلك على أن ذلك حكاية عن قصة بعينها ، ولكن

---

(١) لسان العرب : المجلد الرابع . ص : ١٠٩ .
(٢) الحيوان : ج١ ، ص : ١٨ .
(٣) المصدر السابق : ج ٦ ، ص : ٦٩ .

الثيران ربما قتلتها ، وأما في أكثر ذلك فإنها تكون هي المصابة ، والكلاب هي السالمة والظافرة وصاحبها الغانم » [1] .

.. وبعيداً عن غرضي : الرثاء والمديح .. كان الثور الوحشي يجسد ظاهرة الصراع النفسي لعاملل «الموت / الحياة» في المعلقات .. ففي معلقة امرئ القيس نجد أن «الفرس» يصيد «ثوراً» «ونعجة» بمعنى أن «الثور» يموت :

فألحقنا بالهاديات ودونه
جواحرها في صرة لم تزل
فعادى عداء بين ثور ونعجة
دراكا ولم ينضح بماء فيغسل . [2]

.. يصف الزوزني موقف صيد «الثور» هنا فيقول : «صاد هذا الفرس ثوراً ونعجة في طلق واحد ، ودراكا أي مداركة» . [3]

.. وفي زهو إمرئ القيس النفسي بهذا الفرس قتل «الثور» ، وفي قتل الثور قضاء على أحد جانبي «الصراع» بين البقاء والموت ، وكان امرؤ القيس يود بقاء «فرسه» طرف الصراع الآخر فقتل «الثور» لأنه يمثل الجانب والطرف الآخر في الصراع لعامل : «الموت / الحياة» ،

---

(١) الحيوان : ج٢ . ص : ٢٠ .
(٢) ديوان امرئ القيس : ص ٢٢ .
جواحرها : ما تخلف منها . صرة : جماعة .
(٣) شرح المعلقات السبع : للزوزني . ص ٤١ / الهامش .

ومادام الفرس - يمثل رمز «الأمل» لامرئ القيس - ويمثل الحياة التي ينشد ويتوق لها أن تستمر فموت «الثور» موت للطرف الآخر في «الصراع» وهو طرف الموت تحقيقا للصراع لعوامل «الموت / الحياة» في هذا المجال : « يقصد بالصراع في التحليل النفسي موقف تتنازع فيه رغبتان متعارضتان بحيث إنه إذا تحققت إحداهما لم تتحقق الثانية» . [1] .

.. وعند النابغة الذبياني ، يحصل أن ينتصر «الثور» على «الكلاب» وسنتمثل طبيعة الصراع من خلال هذه الأبيات للنابغة :

أسرت عليه من الجوزاء سارية
تزجي الشمال عليه جامد البرد

فارتاع من صوت كلاب فبات له
طوع الشوامت من خوف ومن صرد

فبثهن عليه واستمر به
صمع الكعوب بريئات من الحرد

وكان ضمران منه حيث يوزعه
طعن المعارك عند المحجر النجد

---

(١) مبادئ علم النفس للدكتور : مختار حمزة . ص ١٩٨ .
الجوزاء : نوء الجوزاء لأن نؤها يكون في البرد الشديد . سارية : سحابة تسير ليلاً وتمطر . تزجي الشمال : تدفع من الشمال مطرا على الثور فيه برد شديد . طوع الشوامت : أي بات الثور في مبات سوء .

شك الفــــريصـــــة بالمدرى فــــانفـــذها

طعن المبــيطر اذ يشــفى من العــضــد

كــأنه خــارجــا من جنب صــفــحــتــه

ســفــود شـــرب نســوه عند مــفــتـــأد

فظل يعـــجم أعلى الروق منقـــبــضـــا

فـي حـــالك اللون صـــدق غـــيـــر ذى أود

لما رأى واشق إقـــعـــاص صـــاحـــبـــه

ولا ســـبـــيـل إلـى عـــقـل ولا قــــود

قـــالت له النفس : أني لا أرى طمـــعـــا

وان مـــولاك لم يسلم ولم يصـــد . [1]

.. وانتــصــار «الثــور» على «الكلاب» قــد جــاء في مناخ مليء بالإحباط النفسي واليأس القاتل ، فلم يجد الثور بدا من الدفاع عن نفســه وسط هذا المناخ المؤيس ، فــالكلاّب يطلق كــلابه عليــه ، وهو يعاني من البرد والصرد ومن «الخوف» .

أســـرت عليــــه من الجـــوزاء ســــارية

تزجي الشـــمـــال عليـــه جـــامـــد البـــرد

(١) ديوان : النابغة الذبياني . ص : ١٨ - ٢٠ .
- انظر في معاني ألفاظ الأبيات الخمسة الأخيرة .
الصمع : اللصوق والحدة وللطافة . الحرد : استرخاء عصب البعير من شدة العقال فاستعاره للثور أي ليس بقوائمه عيب . ضمران : اسم كلب . يوزعه : يعزيه بالكلب . المعارك : المقاتل . المحجر : الملجأ المدرك . النجد : الشجاع .

فــارتـاع من صــوت كــلاب فــبــات لـه
طوع الشــوامت من خــوف ومن صــدد

.. وفي ظل هذه الظروف المناخية من : البرد ، والصرد ، والظروف النفسية من «الخوف قاوم «الثور» الكلبين وقضى على إحدهما .

.. إن «الكلاب» ، والظروف المناخية من البرد ، والصرد والكلاّب الموجه للكلاب تمثل طرف صراع للثور ، وهي تسهم في محاولة للقضاء عليه، رامزة إلى عوامل «الموت» بينما يمثل «الثور» عامل الحياة الذي انتصر على تلك العوامل جميعاً ، وقضى على «كلب» من الكلاب .

.. إن انتصار «الثور» انتصار لعوامل «الحياة» على عوامل «الموت» المحيطة ، وقد جعل النابغة انتصار «الثور» في مقام «الاعتذار» للنعمان ، وشبه ناقته بهذا الثور المنتصر، ولا شك أن «الثور» هنا رامز حي لأماني النابغة وأخلاقه في أن تنتصر دعواه لدى النعمان ، وينتصر «إقناعه» ببراءته، بإزاء عوامل الدس والنميمة والوشاية التي تمثل عوامل «موت» بالنسبة له ، فانتصار «الثور» هنا يمثل «تفاؤلا» عميقاً للنابغة ، وحلما داخلياً عميقا ، بأن ينتصر على خصومه ودسائسهم أمام النعمان «باعتذاره» كما انتصر هذا الثور ونجا .

٦ - «الكلاب» .. رمز الموت والتعدي : (في المعلقات) :

.. تجسد «الكلاب» في المعلقات رمزاً للإحساس بالموت والتعدي .

«والكلب معروف ، واحد الكلاب ، قال ابن سيده : وقد غلب الكلب على هذا النوع النابح ، وربما وصف به » .[1]

.. وتشكل «الكلاب» وسيلة صيد عند العرب ، غير أن ما يهمنا هنا هو الصراع الذي ينشأ بينها وبين البقرة الوحشية - كأبرز مظهر للصراع لحيوانات الصحراء - الذي لابد أن يموت فيه أحد الأطراف إما البقرة الوحشية أو الكلاب .

.. ومن صور الصراع بين «الكلاب» ، والبقرة الوحشية ما يرسمه : لبيد بن ربيعة العامري لما في قوله يصف دفاع البقرة الوحشية عن نفسها وفتكها بالكلاب :

لتذودهن وأيقنت أن لم تذد
أن قد أحم من الحتوف حمامها

فتقصدت منها كساب فضرجت
بدم وغودر في المكر سخامها .[2]

.. فهذا الموقف تنتصر فيه البقرة الوحشية على «الكلاب» ، «والكلاب» هنا رمز الموت وتعد على جوانب «الجمال والحياة الذي

---

(١) لسان العرب : المجلد الأول . ص ٧٢٢ .

(٢) شرح ديوان لبيب بن ربيعة العامري . ص : ٣١٢ .
وفي معاني بيتي لبيد : «لتذودهن وزيقنت .. الخ »
انظر ص ١١٢ / الهامش من هذا الكتاب .

تمثله «البقرة الوحشية» ، والكلاب تأخذ هذا الرمز العام الدال على «الموت» «والتعدي» بينما تمثل البقرة الوحشية جانب «الحياة الجميلة» وظرف الحياة الرائعة التي يريد لها الشاعر أن تنتصر على عوامل الموت والتعدي التي تمثلها «الكلاب» .

.. وهكذا نرى الكلاب تنهزم وتموت لتموت بالتالي عوامل «الموت والتعدي» بإزاء «عوامل الحياة الجميلة» التي تمثلها البقر الوحشية ، والتي تنتصر في النهاية .

.. وصورة أخرى لانتصار «الثور الوحشي» على «الكلاب» نلمسها عند النابغة الذبياني في قوله :

أصرت عليه من الجوزاء سارية
تزجي الشمال عليه جامد البرد

فارتاع من صوت كلاب فبات له
طوع الشوامت من خوف ومن صرد

فبثهن عليه واستمر به
صمع الكعوب بريئات من الحرد

وكان ضمران منه حيث يوزعه
طعن المعارك عند المحجر النجد

شك الفريصة بالمدرى فأنفذها
طعن المبيطر إذ يشفى من العضد

كــأنه خــارجــا مـن جنب صـــفـــحـــتـــه
ســـفـــود شـــرب نـســوه عند مـــفـــتـــأد

فظل يعـــجـم أعلى الروق منقـــبـــضـــا
في حـــالك اللـون صـــدق غـــيـــر ذي أود

لما رأى واشق إقـــعـــاص صـــاحـــبـــه
ولا ســـبـــيـل إلـى عـــقـل ولا قـــود

قـــالت لـه النفس : إني لا أرى طمـــعـــا
وان مـــولاك لم يسلم ولم يصـــد . (١)

.. والنابغــة وهو يرسم لصورة الصــراع بين الثـور الوحـشي وبين الكلاب لم ينس أن يرسم صورة ذلك الثور الوحشي وما أحاطت به من ظروف مساعدة على خوفه وفزعه :

أســـرت عليـــه من الجـــوزاء ســـارية
تزجي الشـــمـــال عليـــه جـــامـــد البـــرد

فـــارتاع من صـــوت كـــلاب فـــبـــات له
طوع الشـــوامت من خـــوف ومن صـــرد

.. يشـيـر الأعلم الشنتـمـري إلى هذا الجانب النفسي عند الثـور الوحشي - في البيت الأخير - فيقول : «يريد أن هذا الثور لما أصابه

---

(١) ديوان : النابغة الذبياني : ص ١٨ - ٢٠ .

مطر هذا النوء وبرده ، كان مبيته مبيت سؤ ، فتضاعف خوفه وبات قائماً لا يطمئن فينام »[1] .

.. ويشير الجاحظ إلى حالة «الفزع» عند الثور الوحشي فيقول : وأنشد قول أبي ذويب :

شغف الكلاب الضاريات به
فإذا يرى الصبح المصدق يفزع

يقول : هذه الثيران لما قد لقين مع الصبح والإشراق من الكلاب صار أحدها حين يرى ساطع الصبح يفزع وذلك أنها تمطر ليلتها فتشرق الشمس فعندها ترسل عليها الكلاب »[2] .

.. وكأن الجاحظ يرسم لنا ذات المناخ الذي مر على « ثور » النابغة» الوحشي وتعرض الكلاب له ، وانتصاره عليها ، ذلك الانتصار الذي يجسد انتصار «عوامل الحياة الجميلة» ، وانتصار الإنسان على عوامل الموت والتعدي التي تمثلها «الكلاب» وتجسدها أيما تجسيد في هذا الموقف الصراعي الدامي .

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهلين : اختيارات الأعلم الشنتمري ص ١٩١ / الهامش .
(٢) الحيوان ج٢ ص : ٢٠٢ ، ٢٠٣ .
- انظر ص ٨٢ ، ١٣١ / الهامش ، من هذا الكتاب في معاني ألفاظ النابغة الذبياني .

٧ - العقاب .. رمز التعدي والموت : (في معلقة : عبيد بن الأبرص الأسدي) :

.. ورمز آخر للتعدي والموت نلمسه في : «العقاب» في معلقة : عبيد بن الأبرص الأسدي ، «والعقاب» : طائر من العتاق مؤنثة ، وقيل العقاب يقع على الذكر والأنثى ، إلا أن يقولوا هذا عقاب ذكر ، والجمع : أعقب وأعقبه .

وقال ابن الأعرابي : عتاق الطير العقبان ، وسباع الطير التي تصيد ». (١)

.. ويصف الجاحظ شدتها وشجاعتها فيقول : «قال : فقال الاعرابي : أما علمت أن الشدة والشجاعة والبأس والقوة من الحيوان . في ثلاثة أصناف : العقاب في الهواء ، والتمساح في ساكن الماء ، والأسد في ساكن الغياض » . (٢)

.. وبهذا المفهوم فالعقاب سيدة الجو ، كما أن الأسد سيد الغابة .

.. ويشير الجاحظ إلى خوف الطير من العقاب : «ويزعم أصحاب القنص أن العقاب لا تكاد تراوغ الصيد ولا تعاني ذلك ، وأنها لا تزال تكون على المرقب العالي ، فإذا اصطاد بعض سباع الطير شيئاً انقض عليه ، فإذا أبصرها ذلك الطائر لم يكن همه إلا الهرب وترك

---

(١) لسان العرب : المجلد الأول . ص ٦٢١ .
(٢) الحيوان : ج ٢ ص ١٦٠ .

صيده في يدها ، ولكنها إذا جاعت فلم تجد كافيا لم يمتنع عليها الذئب فما دونه » [(١)] .

.. ويصفها الدميري بقوله : « وهي أشد الجوارح حرارة وأقواها حركة وأيبسها مزاجاً وهي خفيفة الجناح سريعة الطيران تتغذى بالعراق وتتعشى باليمن ، وريشها الذي عليها فروتها في الشتاء وحليتها في الصيف » [(٢)] .

.. والعقاب .. رمز التعدي والموت ، نجد عبيد بن الأبرص يرسم لدورها العدائي في هذا المشهد الدرامي الدامي :

كأنها لقوة طلوب	تحن في وكرها القلوب
باتت على ارم عذوبا	كأنها شيخة رقوب
فأصبحت في غداة قرة	يسقط عن ريشها الضريب
فأبصرت ثعلبا سريعا	ودونه سبسب جديب
فنفضت ريشها وولت	فذاك من نهضة قريب
فاشتال وارتاع من حسيس	وفعله يفعل المذءوب

(١) الحيوان : ج٦ ص ٤٠٧ .
(٢) حياة الحيوان ج٢ ص ٣٨ .
اللقوة : العقاب . سميت بذلك لأنها سريعة التلقي لما تطلب . تحن تتغير . ذلك أن العقاب تأكل الطير إلا قلوبها . أرم : العلم . عذوبا : وفي رواية الديوان «رائبة» : تأبى الأكل والشرب . الرقوب : التي لا تعيش لها ولد . قرة : برد . الضريب الصقيع . سبسب : الأرض المستوية . الجديب : التي لا ينبت فيها شجر ولا مرعى .

فنهضت نحوه حثيثة   وحردت حردة تسيب
فدب من رأيها دبيبا   والعين حملاقها مقلوب
فأدركته فطرحته   والصيد من تحتها مكروب
فعاودته فرفعته   فأرسلته وهو مكروب
يضغو وخلبها في دفه   لابد حيزومه منقوب .[1]

.. «والقوة» التي أشار إليها عبيد ، وهي أنثى العقاب : « والأنثى منه تسمى لقوة ، قال البطليوسي في الشرح : قال الخليل : القوة والملقوة بالفتح والكسر العقاب السريعة الطيران» [2] .

.. والمشهد الدرامي انتهى بانتصار «العقاب» على الثعلب، حيث جسدت «العقاب» هنا رمز التعدي والموت . . وقد صور عبيد من خلال هذا المشهد أحاسيس الثعلب «الخائف» الفزع :

فاشتال وارتاع من حسيس   وفعله يفعل المذءوب
فدب من رأيها دبيبا   والعين حملاقها مقلوب

---

(١) شرح القصائد العشر : للتبريزي . ص : ٣٧٢ - ٣٧٥ .
وكذلك : انظر ديوان عبيد بن الأبرص . ص : ١٨ - ٢٠ .
(٢) حياة الحيوان : للدميري ج٢ ص ٣٧ .
اشتال : رفع ذنبه (أي الثعلب) . حسيسها : صوتها . المذؤب : المفزوع .
حردت : قصدت . حملاقها مقلوب : كناية عن الخوف والفزع . يضغو : يصيح .
دفه : جنبه : الحيزوم : الصدر .

.. وقد يبدو لهذا المشهد رمزاً أعمق حين يلامس حياة عبيد بن الأبرص الذي لا يستبعد أنه يشترك مع «الثعلب» في الدهاء : « حتى سمي من دهاة العرب »[1] ، فالثعلب في هذا المشهد رمز لعبيد بن الأبرص ، والعقاب رمز : للمنذر بم ماء السماء الذي قتل عبيدا حين أتاه في يوم شؤمه [2] اعتداء .

.. فيصبح رمز مقتل «العقاب» للثعلب ملامساً لمقتل عبيد بن الأبرص ، ولا شك أن موقف الثعلب الخائف الفزع هو نفسه موقف عبيد النفسي حيث أخذ الخوف منه كل مأخذ ، حين أجاب المنذر بن ماء السماء حين طلب إليه أن يقول شعراً : « حال الجريض دون القريض »[3] .

---

(١) موسوعة الشعر العربي : الشعر الجاهلي . المجلد الثاني ص ٥٦٤ .
(٢) الأغاني : ج٢٢ . ص ٨٨ - ٩١ .
(٣) المصدر السابق : ، نفسه ، ص : ٨٧ .

جوانب نفسية عامة في المعلقات العربية

.. ومن خلال الإطار العام لكل معلقة ، ومن خلال منظور كلي للخط العام لكل معلقة ، تبرز للمعلقات هذه الجوانب النفسية العامة ، خطوطا نفسية عامة ، وأطرا نفسية رئيسية لها :

* * * * *

١ - معلقة امرئ القيس :

معلقة : الصراع النفسي بين عوامل «الموت / الحياة» من خلال وصف : «الليل / الحيوان المخيف» والفرس المنقذ الرامز «للأمل» والمشعر به ، ومن خلال وصف : السيل والمطر ، وعوامل حياة قضت على «السباع» رمز «الموت» المفزعة نفسياً للشاعر .

* * * * *

٢ - معلقة زهير بن أبي سلمى :

معلقة : « التأمل والحكمة» من خلال الجانب التأملي النفسي الرزين لزهير ، ونظراته المتعلقة في الكون والحياة ، وفي مواجهة شبح «الحرب» المخيف الذي زحف على الشاعر ، برز عند الشاعر طلب الرحساس بالأمن النفسي والاستقرار ، والتوق إلى الإحساس بجمال «الحياة» من خلال وصف «الظعائن» ورحلتهن : رحلة أمن نفسي جمالية في مواجة رعب الحرب النفسي .

٣ - معلقة طرفة بن العبد البكري :

معلقة : «التأمل والحكمة» من خلال الجانب التأملي النفسي لطرفة في الحياة والكون ، والإحساس بجمال الحياة ، إلى جانب الإحساس بالموت هاجسا مسيطراً على الشاعر .

* * * * * *

٤ - معلقة لبيد بن ربيعة العامري :

معلقة : الإحساس : «الأرض / القفر» ، والإحساس بالصراع النفسي لعوامل « الحياة / الجمال» مع «الكلاب» رمز «الموت / النهاية» وانتصار «الظبية» رمز للإحساس بانتصار عوامل «الحياة» على عوامل «الموت» في بيئة صحراوية جافة مساعدة على الموت .

* * * * * *

٥ - معلقة عنترة بن شداد العبسي :

معلقة : « الفخر / إثبات الذات» في مواجهة الإحساس بالاهمال « والدونية » ، والإحساس «بالقوة» شعورا نفسياً لإثبات «الذات» على المستوى الإنساني والاجتماعي .

* * * * * *

٦ - معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي :

معلقة : إثبات «الذات» ، والإحساس بالشعور بال «أنا» بشكل بارز ، وفي مواجهة الخصم النفسية تضخم الشعور بال « أنا » .. وقد

كانت قافية المعلقة «النونية» المطلقة بالألف تأكيدا على الإحساس الواضح بالـ «أنا» .

* * * * * *

٧ - معلقة الحارث بن حلزة اليشكري :

معلقة : الإحساس « بالغضب » ، والإحساس بمواجهة «الخصم» من خلال «الحوار الساخن» معه ، ودحض حججه وإبطالها وفق شعور نفسي من حرارة الإحساس .

* * * * * *

٨ - معلقة الأعشى :

معلقة : الإحساس النفسي بجمال «الحياة» ، والربط النفسي من خلال الإحساس بالجمال بين : «الإنسان / الطبيعة» من خلال معادلة : «المرأة / الروضة المزهرة الخضراء» .

* * * * * *

٩ - معلقة النابغة الذبياني :

معلقة : الإحساس «بالخوف» وسيطرة هذا الشعور على الشاعر والوقوع تحت تأثير «الفزع» ومن ثم «الاعتذار» .

* * * * * *

١٠ - معلقة عبيد بن الأبرص الأسدي :

معلقة : الإحساس «بالموت والنهاية من خلال وصف الديار الخالية القفر ، والإحساس بالصراع النفسي لعوامل «الحياة / الموت» من خلال المشهد الدرامي لصراع : «الثعلب / العقاب» .

* * * * * *

الخـاتـمة

خاتمة :

.. تحدثنا في هذا الكتاب عن معنى : «المعلقات» ، ثم أشرنا إلى «جوانب نفسية» في المعلقات حيث تحدثنا :

في الفصل الأول : عن «جوانب نفسية إنسانية» في المعلقات ، وأشرنا في هذا المجال إلى بعض الجوانب النفسية عن كل :

١ - امرئ القيس
٢ - طرفة بن العبد البكري
٣ - زهير بن أبي سلمى المزني
٤ - لبيد بن ربيعة العامري
٥ - عمرو بن كلثوم التغلبي
٦ - عنترة بن شداد العبسي
٧ - الحارث بن حلزة اليشكري
٨ - الأعشى
٩ - النابغة الذبياني
١٠ - عبيد بن الأربص الأسدي

من خلال معلقاتهم .

وفي الفصل الثاني من الكتاب : تحدثنا عن : «صلة الحيوان النفسية بالإنسان الشاعر - في المعلقات» .

.. وتحدثنا في هذا المجال عن بعض الحيوانات ، وصلتها النفسية والجمالية والنفعية للشعراء مثل : ١ - الفرس : وصلته : (مشاركة وتمازج نفسي) عن كل من : امرئ القيس ، عنترة بن شداد العبسي ، ٢ - الناقة : وصلتها : (نفسية تمازجية نفعية) . ٣ - البقرة الوحشية: وصلتها جمالية نفسية) . ٤ - الثور الوحشي وصلته :

(صلة نفسية رامز للصراع الفسي لعوامل : «الموت / الحياة» ، وقد بدت صلة الناقة والبقرة الوحشية ، والثور الوحشي - شأنها شأن الفرس - عند بعض الشعراء مثل : طرفة بن العبد البكري ، عنترة بن شداد ، عبيد بن الأبرص ، زهير بن أبي سلمى ، لبيد بن ربيعة العامري ، امرؤ القيس ، النابغة الذبياني .

وفي الفصل الثالث : تحدثنا عن : « الجوانب النفسية للحيوان والطير والحشرات» .. مثل نواحي : الحزن ، والزهو في : «الناقة» عند بعض الشعراء مثل طرفة بن العبد البكري ، وعمرو بن كلثوم التغلبي ، وعنترة بن شداد العبسي ، وكما تحدثنا عن جوانب «المرح» « والحزن» في «الفرس» عند كل من : امرى القيس ، وعنترة بن شداد العبسي ، ثم تحدثنا عن «البقرة المفزوعة» «والمستقرة نفسياً» عند كل من : طرفة بن العبد البكري ، ولبيد بن ربيعة العامري ، ثم أشرنا إلى جانب « الخوف» للثور الوحشي عند : النابغة الذبياني ، «والنعامة المفزوعة» عند : الحارث بن حلزة اليشكري ، «والثعلب الخائف» عند : عبيد بن الأبرص الأسدي .. وفي مجال : «نفسية الطير » تحدثنا عن : «الطيور المرحة» عند امرئ القيس .. وفي مجال : «نفسية الحشرات» تحدثنا عن «الذباب المرح» عند عنترة بن شداد العبسي .

وفي الفصل الرابع : أشرنا إلى بعض «الرموز والدلالات النفسية مثل : رموز الفرح والانتصار والحياة التي جسدتها رموز :

الطيور ، والحصان ، والفرس ، والبقرة الوحشية ، والثور والوحشي .

.. وفي مجال : رموز الخوف والنهاية والموت .. رأينا هذه الجوانب النفسية تتجسد من خلال بعض الرموز في هذا المجال مثل :

«الليل / الحيوان المخيف» ، والسباع ، «والناقة / الحرب» ، والظعائن .. وقد تجسدت هذه الرموز عند بعض الشعراء مثل : امرئ القيس ، وزهير بن أبي سلمى ، ولبيد بن ربيعة العامري ، وعمرو بن كلثوم التغلبي ، والأعشى ، وعنترة بن شداد العبسي ، وطرفة بن العبد البكري .

.. كما برزت رموز أخرى « للخوف والنهاية والموت » وجسدتها بعض الحيوانات في هذا المجال مثل : الثور الوحشي ، عند امرئ القيس ، والنابغة الذبياني ، «والكلاب» عند: لبيد بن ربيعة العامري ، والنابغة الذبياني ، « والعقاب» عند : عبيد بن الأبرص الأسدي .

.. وفي نهاية الكتاب أشرنا إلى بعض «الجوانب النفسية العامة في المعلقات العربية العشر» .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	صفحة



فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

(أ)

- الأبل في الشعر الجاهلي . للدكتور : أنور عليان أبو سويلم
  دار العلوم للطباعة والنشر - الرياض
  ط (١) ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م
- أبو نواس : لابن منظور
  مطبعة النجوى - بيروت - ١٩٦٩ م
- الاختيارين : صنعة : الأخفش الأصغر . تحقيق : الدكتور / فخر الدين قباوة - مؤسسة الرسالة - ط (٢) ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م
- الأغاني : لأبي فرج الأصبهاني
  مؤسسة جمال للطباعة والنشر - بيروت
  مصورة عن طبعة دار الكتب
- أسماء خليل العرب وفرسانها : لابن الأعرابي
  تحقيق ودراسة الدكتور : محمد عبد القادر أحمد
  ط (١) ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م مكتبة النهضة المصرية
- أشعار الشعراء الستة الجاهليين . اختيارات : الأعلم الشنتمري
  دار الفكر - بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م . ط (١)
- الأعشى : للدكتور : محمد التونجي
  مطبعة الشرق - حلب - ١٩٧٩ م
- امرؤ القيس : لإيليا حاوي

دار الثقافة - بيروت - ط (١) ١٩٧٠ م
- الياذة هوميروس . شرح : سليمان البستاني
دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان

(ب)

- البيان والتبيين . للجاحظ . بتحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون -
مكتبة الخانجي بمصر . ط(٤) ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م
س / مكتبة الجاحظ

(ت)

- تاريخ الأدب العربي . لكارل بروكلمان. ترجمة د./ عبد الحليم النجار
دار المعارف ط(٤) ١٩٧٧ م
- تاريخ العرب في عصر الجاهلية. تأليف : د./ السيد عبد العزيز سالم
دار النهضة العربية - بيروت ١٩٧٢ م .
- التكرير بين المثير والتأثير . د. / عز الدين علي السيد
دار المطبعة المحمدية - بالأزهر - بالقاهرة ط(١) ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م
س/ مكتبة البلاغة (٣)

(ج)

- جمهرة أشعر العرب : في الجاهلية والرسلام . لأبي زيد القرشي
تحقيق : علي محمد البجاوي . دار نهضة مصر للطباعة
س / من فرائد التراث الأدبي

(ح)

- حياة الحيوان الكبرى : للدميري
مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر - ط(٥) ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م

- الحيوان : للجاحظ . بتحقيق وشرح ، عبد السلام محمد هارون
المجمع العلمي العربي الإسلامي - بيروت - لبنان ط (٣)
١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م س/ مكتبة الجاحظ .

(خ)

- خزانة الأدب : للبغدادي
تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ط(٢) ١٩٧٩م
الهيئة المصرية العامة للكتاب
- خصوبة القصيدة الجاهلية ومعانيها المتجددة . محمد صادق حسين عبد الله
دار الفكر العربي - القاهرة

(د)

- ديوان : الأعشى الكبير . شرح وتعليق : دكتور : محمد محمد حسين
مكتبة الآداب بالجماميز - ١٩٥٠ م
- ديوان : امرئ القيس . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم
دار المعارف بمصر ط(٤) ١٩٧٧ م س/ ذخائر العرب (٢٤)
- ديوان : بشر بن أبي خازم الأسدي . التحقيق : دكتور : عزة حسن
منشورات دار الثقافة - دمشق ط(٢) ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م
- ديوان : عبيد بن الأبرص . تحقيق وشرح دكتور : حسين نصار .
مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - بمصر ط (١)
١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م
- ديوان : النابغة الذبياني . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم
دار المعارف بمصر . ط (٢) ١٩٨٥ م
س/ذخائر العرب (٥٢٥) .

(ر)

- الرحلة في القصيدة الجاهلية . وهب رومية
مؤسسة الرسالة - بيروت ط (٢) ١٤٠٠ هـ - ١٩٧٩ م
- رسالة الألوان : لابنحز . تحقيق : عدد من الباحثين
ط (١) ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م - النادي الأدبي بالرياض
س/ كتاب الشهر (٨)

(ش)

- شرح ديوان طرفة بن العبد
قدم له وعلق علية سيف الدين الكاتب ، أحمد عصام الكاتب
منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت لبنان ، س / من التراث العربي
- شرح ديوان عنترة بن شداد
تحقيق وشرح : عبد المنعم عبد الرؤوف الشلبي
قدم له : إبراهيم الأبياري - دار الكتب العلمية ط(١)
١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م . بيروت
- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري . تحقيق الدكتور / احسان عباس
ط (٢) ١٩٨٤ م - مطبعة حكومة الكويت . س/ التراث العربي .
- شرح ديوان مسلم بن الوليد الأنصاري
تحقيق الدكتور سامي الدهان - دار المعارف بمصر ط(٢)
١٩٧٠ م س/ ذخائر العرب (٢٦)
- شرح شعر زهير بن أبي سلمى - صنعة أبي العباس ثعلب
تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة - منشوراتدار الافاق الجديدة
بيروت ط (١) ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري
تحقيق عبد السلام محمد هارون - دار المعارف ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م
ط (٤) س/ ذخائر العرب (٣٥)
- شرح القصائد العشر للتبريزي - ضبط وتصحيح الأستاذ عبد السلام الحوفي
دار الكتب العلمية - بيروت ط(١) ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات - صنعة ابن النحاس
دار الكتب العلمية بيروت ط (١) ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م
- شرح المعلقات السبع للزوزني - المكتبة التجارية الكبرى بمصر
١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م
- شرح المعلقات العشر - للزوزني - المكتبة الشعبية - بيروت - لبنان
- الشعر الجاهلي - خصائصه وفنونه للدكتور يحيى الجبوري
مؤسسة الرسالة بيروت ط(٤) ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م
- الشعر الجاهلي - مراحله واتجاهاته الفنية للدكتور سيد حنفي حسنين
دار الثقافة بالقاهرة ١٩٨١ م
- شعر زهير بن أبي سلمى - صنعة الأعلم الشنتمري
تحقيق : فخر الدين قباوة - دار الآفاق الجديدة - بيروت
ط (٣) ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- الشعر والشعراء -لابن قتيبة
تحقيق وشرح : زحمد محمد شاكر - دار المعارف بمصر
ط (٢) ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م

(ص)

- صناجة العرب - الأعشى الكبير للدكتور / مصطفى الجوزو
دار الطليعة بيروت ط(١) ١٩٧٧ م

(ط)

- طبقات فحول الشعراء - لمحمد بن سلبام الجمحي
شرح محمود محمد شاكر - دار المعارف بمصر ١٩٥٢ م
س / ذخائر العرب (٧)
- طفيل الغنوي - حياته وشعره للدكتور محمد عبد القادر أحمد
مطابع الناشر العربي - القاهرة ١٩٧٩ م .

(ظ)

- ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي للدكتور عفيف عبد الرحمن
دار العلوم بالرياض ط (١) ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

(ع)

- العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي
تحقيق محمد سعيد العريان دار الفكر ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠ م
- العمدة لابن رشيد القيرواني الأزدي
تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤ م

(ف)

- الفتنة بالشاعر اليوت خطر على الأدب العربي للدكتور عبد الله الطيب
المؤسسة العامة لمطابع التربية
- فن الوصف وتطوره في الشعر العربي لإليا حاوي
دار الكتاب اللبناني - دار الكتاب المصري ط (٣) ١٩٨٠ م
س/ الفنون الأدبية عند العرب (١) .
- الفكرة والصورة في شعر زهير بن أبي سلمى تأليف فتحية محمود فرج
العقدة - دار العلوم الرياض ط (١) ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

(ك)

- الكناية أساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي
محمد الحسن علي الأمين أحمد - المكتبة الفيصلية
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م .

(ل)

- لبيد بن ربيعة العامري للدكتور يحي الجبوري
مكتبة الأندلس بغداد ١٩٧٠ م .
- لسان العرب - لابن منظور
دار صادر - بيروت

(م)

- مبادئ علم النفس للدكتور مختار حمزة
دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع ط (٣) ١٩٨٢ م
- مختار الشعر الجاهلي - شرح مصطفى السقا - محمد سيد الكيلاني
المكتبة الشعبية - بيروت ط (٣) ١٣٨٩ هـ . ١٩٦٩ م
- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها للدكتور عبد الله الطيب
دار الفكر ط (٢) ١٩٧٠ م بيروت
- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية للدكتور ناصر الدين الأسد
دار المعارف بمصر ط (٥) ١٩٧٨ م
س/ مكتبة الدراسات الأدبية (٩١
- معجم علم النفس للدكتور فاخر عاقل
دار العلم للملايين - بيروت ط (١) ١٩٧١ م

- المعجم الفلسفي - منشورات مجمع اللغة العربية جمهورية مصر العربية
الهيئة العامة للشئون المطابع الأميرية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م
- معجم المصطلحات النفسية والتربوية - إعداد الدكتور محمد مصطفى زيدان
دار الشروق ط (٢) ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م
- معلقات العرب للدكتور بدوي طبانة
دار المريخ ط (٤) ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م
- معلقة عمرو بن كلثوم بشرح أبي الحسن بن كيسان
دراسة وتحقيق الدكتور محمد إبراهيم البنا
دار الاعتصام - القاهرة - ط (١) ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م
- المعلقات سيرة وتاريخياً - نجيب محمد البهبيتي
دار الثقافة - الدار البيضاء - المغرب - ط(١) ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م
- موسوعة الشعر العربي - العصر الجاهلي - اختيار وشرح مطاع الصفدي
ايليا حاوى - شركة خياط للكتب والنشر - بيروت - لبنان ١٩٧٤ م
- موسوعة علم النفس - اعداد الدكتور أسعد رزوق
مراجعة د/ عبد الله عبد الدايم - المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بيروت ط (١) ١٩٧٧م

(ن)

- النابغة الذبياني مع دراسة للقصيدة العربية في الجاهلية
الدكتور محمد زكي العشماوي - دار النهضة العربية - بيروت
١٩٨٢ م . ط (٢)

تم بحمد الله وتوفيقه


مطابع الصفا
ALSAFA
PRINTERS
مطابع الصفا مكة المكرمة ت : ٥٥٦٢٨١٠